مصطفى الشيمي

هكذا تكلم الذئب

قصص

HAZEM MASSAOD
HM
E-Books

هكذا تكلم الذئب

تأليف: مصطفى الشيمي

تحويل وتنسيق
د/ حازم مسعود
https://t.me/hazem_massaod_kindle_books

«لقد أعطونا الساعات وأخذوا الزمن»

محمد الماغوط

«ما الزمن إذًا؟»

القديس أوغسطين

هكذا تكلَّم الذئب

في البدء كنتُ سفر تكوين، وصورة في عقل رجل ذي شارب رفيع، وفي طرفي الشارب وردتان بيض. لم أولد في حياة هذا الرجل، أراد أن أظل هكذا، مُعلقًا للأبد في الغيب، ضائعًا، مشردًا بعيدًا عن الأعين التي تنتظرني، ولأنني الذئب الذي يمشي على قدمين، والذي يطلب التيك أواي، ولا يخاف البشر، في لحظة ميلادي حدثت المعجزة، هربت الحيوانات وملأت الشوارع واختبأ رجال الشرطة، صارت المدينة لنا، وكان عليّ أن أجد لنفسي وظيفة من أجل لقمة العيش، عليك أن تتخيل هيئتي: ذئب وقور يكتب على اللاب توب، ويشرب الشوكولا، بينما يرتفع دخان التبغ الرديء!

لم أعتقد أن الحياة ستكون بائسة هكذا، جئت من النسيان، من خيال مجنون ومعقَّد، واخترت تلك الحقبة تحديدًا، عندما انهزم الإنسان وصار العالم طيعًا لنا، ومع ذلك، فإننا لم نفعل شيئًا جديدًا، كل ما في الأمر أننا مارسنا الخطايا التي مارسها البشر علينا، وجعلنا البشر عبيدًا لنا، يسكنون زنازين حديقة الحيوان، أو يجرّون عربات الكارو والحناطير، بينما تجلس الخيول والحمير تدخن التبغ أو الغليون. عادةً نقتحم البيوت ونجد الرجال المختبئين، نجرهم إلى الشارع، نضربهم بالسوطِ ليعملوا بدلًا من نسائهم، نجلدهم إذا سرقوا البط، لكنهم يعودون للاختباء من جديد ويتركون نساءهم فريسةً سهلةً، لذا لم يكن غريبًا عندما رأيت تلك الفتاة تجر إحدى العربات، الغريب هو أن قلبي خفق، ولم أفهم ما الذي دار برأسي، وقفت أتأمل عريها وجمالها، رغم بشريتها. في عينيها حزن، في خزيها جمال، ولا أذكرْ إذا كنت قد خلقتها في قصة ما، أم أنها ابنة عالمها. أخذتني الحيرة، تقدَّمت منها، لمستها، جسدها ناعم ومُترَب، شعرت بنظرات الحمار المتعجِّب الجالس في العربة، ولم يقدر على الصراخ، فالحمار يعرف من أكون. سألت الفتاة عن اسمها فلم ترد، وعلى غير المتوقع ابتسمت وربما خفق قلبها.

فككتُ قيودها وحملتها إلى بيتي، ولم يفكر الحمار في مقاومتي، وإن ظل يصرخ غاضبًا بعد رحيلي ويلعن كتابتي، يقول إنها رديئة، أو بين بين. لا أهتم بما يقول. أخذتها إلى البيت وقلت لها «ستعملين عندي». نظرت إليَّ طويلًا ولم ترد. وددت لو أنها رفضت، أردت بشدة أن تفعل ذلك. ظللت جالسًا أمام اللاب توب، أكتب القصص، وأراقبها. أترك لها السكين الحادة على المائدة، وأعطي ظهري لها، أتمنى لو تفعل ما أريد، أكتب كل خطواتها في قصتي، وأرى الغيب:

أنا الدمويُّ، ابن الغابة، المنسيُّ في الليل. أشم دمكِ وأتبع رائحتكِ، وأعرف أن الوقت حشرة، ناموسة صغيرة تمص دمك، ناموسة صغيرة ستقتلك، وتوقعك بين عقربين، وكل ما فات سيبدو أغنية، أو عواء، وربما لن يبدو شيء، وربما ما كان شيء..

أنادي عليها لتقرأ، لا تبدو عليها الرغبة في الرفض، ولا تستطيع إن أرادت. بنظرة واحدة إلى وجهي تخضع. تقرأ المكتوب وتبكي. تعتذر لأنها حاولت أن تصفعني ذات يوم، وتقول إنني عاشق. أردُّ بهدوء «لستُ عاشقًا، هذه كلمات سأشتري بها خبزًا». لا تصدقني. تظنني أستطيع شراء الخبز بطريقة أخرى، تقول أنني مسكون بروح فنان، أحاول أن أشرح لها، لا روح للحيوانات، نحن مخلوقون للذبح فقط، لكنها لا تفهم، أعتقد أن البدلة الأنيقة التي أرتديها تجعلها تخطئ قراءتي، لم أعد دمويًّا، هل تتخيل ذئبًا رقيق الطبع؟ مرهفًا؟ حالمًا؟ يريد أن ينقذ تلك

البشرية من عالمنا الوحشي، من الوقت الذي ينهش عمرها، ويلدغها كل ليل، ويجعلها تبكي! هل تـتخيل ذئـبًا يبكي؟

أقول لها «انظري في عيني». تلمع الدموع مثل نجوم صغيرة، مثل سماء بعيدة، نرتفع معًا وننفجر على سواد العالم. تضع يدها على وجهي، تقول بصوتها المبحوح «أنت أيها العاشق، قلبك جمرة، أستطيع أن أشم ذلك». أستسلم للمستها الناعمة وأشعر أن العالم يتلاشى، أقول لها بضعف «لست عاشقًا». ترفض ما أقول، تذكِّرني دومًا أنني أنقذتها، تقبّلني فجأة بجنون، تعض شفتي، أحس بمذاق الدم، فأعض شفتيها بالمثل. يشتعل الجوع في جسدي، أقول لها «اهربي، اهربي بعيدًا». لكنها لا تفعل. على جسدها العاري المُلقَى على البلاط الساقع أكتب السطر الأخير، وهي تبتسم بانتشاء، أقبّلها قبل أن أبيعها للمراهقين من عشاق هذا اللون، لكنني أذكرها عندما أُشعل الشموع، وعندما أعوي.

تماثيل خضراء

في يدي عُملة ذهبية. هذه العُملة هي تميمة حظي. عندما أمشي أُلقي بها للأعلى وألقفها، هكذا، وهكذا. الناس ينظرون باندهاش، والبحر يرمقني ويُلقي بالطَّشاش عليّ. أُلقي عُملتي مرة أخرى، وأقفز لأمسكها. الحياة في يدي، أنا محظوظٌ لأنني أملك حظي. الفتاة التي أحببتها تركتني في منتصف الطريق. قالت: «أكرهك أكثر من العدس». وأنا أحبّ العدس. تسمَّرت في الطريق. لم أقوَ على المشي. رأيت العملة أسفل قدمي، أمسكت بها. ظللت واقفًا لوهلة. في هذا الوقت الزهيد، اشتريت عمري. جاءت سيارة مُسرعة لتحمل جسد حبيبتي لأعلى، وأخرى لتدهس رقبتها. نظرتُ إليها مصعوقًا. الإشارة خضراء، توقفت السيارات. التفَّ الناس حول جثمانها، أما أنا فوجدت الطريق هادئًا، عبرتُ مطمئنًا، ولم أنظر إلى وجهها المطبَّق.

كل الأمور جيدة وطيبة، ما دامت هذه العملة الذهبية. أُلقي بها لأعلى، وأقفز فأتذوق طعم السُّحُب. البحر أيضًا يُلقي بالكراميل على لسان الشاطئ. أريد أن أتذوق كل شيء. أُلقي بالعملة عاليًا. هذه المرة لا أمسك بها. تنساب من يدي. يعلو رنينها لمّا تصطدم بالإسفلت. أضع يدي على أذني. كان صوتها مثل ناقوس القيامة. حلَّ الظلام على السماء. بحثتُ عنها بنظري، هنا وهناك. وجدتها أخيرًا تتدحرج في منتصف الطريق. جريتُ وراءها. طاردتُها. وهي تهرب أسفل عجلات السيارات المُسرعة التي تواجهني. تفاديتُها. أطلقوا سِبابهم في هيئة أبواق مُفزعة. نظرتُ إلى عُملتي التي هدَّها التعب. هدأت. اقتربت من الرصيف وأرادت أن تستلقي. مشيتُ إليها بثقةٍ، وبطء. علمت أنها ستقع أرضًا. فوقعت، ولكن في بلاعة لم أرها، بلاعة لها شكل نافذة سجن، بقضبان رفيعة. صرختُ. ماذا أفعل الآن؟ لففت، فوجدت عربة نصف نقل، مكتوب عليها (شركة المجاري). جوارها يجلس موظف مسن على مكتب بمظلة، ويبدو نعسانًا أو شاردًا، تقدمت نحو المقعد الفارغ. جلست. وقبل أن أبدأ الحديث بادرني بالقول: «عرفت فتاة لها رائحة الصابون»، قالها بحنين. كدت أضحكُ لولا أن عينيه كانتا تدمعان. لم أهتم بالرد. ارتديتُ بدلة خضراء، بقناع غريب. مشيت تجاه البلاعة التي فتحها وقال: «الحبّ شيء نظيف». وأغلق القضبان ورائي. بدأت أهبط السلم بتردُّد. ماذا بالأسفل؟ تمساحٌ عملاقٌ، أو سلحفاة مائية كبيرة، أو سمكة تفسَّخت من طول بقائها هنا، قد تأكلني وقد آكلها.

لامستُ بقدمي الأرض. نظرتُ حولي. لم أعرف أن لدينا شبكة مجاري بهذا الحجم. فيها أشياء عجيبة وبأشكال مدهشة. إنتاج رائع. الجدران ملطخة بالبُني والأخضر، ثمة مشاعل مُعلَّقة وأسهم تشير إلى الطريق. إلى اليسار، ثم إلى اليمين. هكذا أمشي حتى أصل إلى غرفة مكتوب عليها (للعاملين فقط). أُمسك بجاروف وأقف أمام المجرَى. أهمس: «اللهم إني أعوذ بكَ من الخبث والخبائث». قبل أن أُنزل قدمي اليُسرى أتقزز فأرفعها. يخرج وحش عملاق من الأسفل، مليئًا بالقاذورات، يرتدي قناعًا. يشتمني ويقول: «تواضَع». أشعر أنني سيء. أعتذر. عليَّ أن أتواضع. أقفز برشاقة في المجرَى البُني، وأسبح بذراعي، ولا أُبالي. تواضعت حتى صرت وضيعًا. تسلل الماء إلى جلدي. قلت لصاحبي: «علينا أن نشكوهم. هذه بدلة سيئة!». فأجابني: «كل الأخضر سيء!». خرجَ من المجرى وذهبَ إلى دورة المياه. مكتوب عليها (للنساء فقط). لذا قمت بالتبول

في المجرى كما أفعل في النهر في طفولتي القديمة. لمّا عاد كنتُ أهرش، الماء يأكل جلدي. عدت أقول: «لا بُد أن نشكوهم»، فكرر غاضبًا: «كل الأخضر سيء!».
ظللنا نعمل. نرفع الطين اللين بالجاروف إلى الدلو، وبعدها يحمل الدلو إلى آخر النفق. لم أستطع إقناع الموظف بكتابة شكوى، ظل يزجرني، فينفجر غضبي كفقاعات هواء في الماء. قررت أن أبتلع لساني، فابتلعت أشياء أخرى. في البداية ظننتها أسماكًا صغيرة، لكنها كانت أقرب للدود الكبير. القناع غير مناسب أيضًا. انتظرت الموظف حتى عاد من دورة المياه، كان أقصر مما بدا أولًا؛ كان قزمًا. يرتدي بدلة كبيرة وقناعًا أكبر، قال: «أعوذ بك من الخبث والخبائث». وداس على رأسي بغرور. خرجت برأس مليئة بالقاذورات وقلت: «تواضع» فتواضع؛ صار وضيعًا.
ذهبت إلى دورة المياه. جلست على مرحاض غريب. كان نظيفًا. شعرت بسعادة وأطلقت الأصوات وأنا أغني، بينما يعمل القزم بالخارج. لمّا عدت حملت الدلو إلى آخر النفق. انتظرت أمام باب مغلق. خرج إليَّ رجلٌ عملاق. نظر في الدلو وقال: «كل الأخضر جيد!»، وصفع الباب في وجهي. هززت كتفي محتارًا وعُدت إلى موقعي. أخبرني القزم أن البدلة غير مناسبة، أشار إلى الأكمام الطولية، والقناع المخروم، وقال: «علينا أن نكتب شكوى!»، كدت أوافق على الفكرة، لكنني تذكرتُ الموظف العملاق الذي أخذ الدلو مني. كان مهيبًا. لُذت بالصمت. ألحَّ القزم أكثر. صحتُ: «لا! كل الأخضر سيء». صمتَ، لكنني رأيت فقاعات هواء في المجرى. قال آسفًا: «لم أستطع كتمها، عليّ أن أنفث عن غضبي!». شعرت بالتقزز. ذهبت إلى المرحاض. عليّ الهروب من هذه الدائرة. نافذة أعلى رأسي. تسلَّقتها. قفزت منها. وجدت نفسي في الناحية الأخرى أمام تماثيل كثيرة. موظفون يصنعونها من طين أخضر، أو يرسمون اللوحات الزيتية. سمعت طرقًا على الباب. وجدت القزم وفي يده الدلو.
مع الوقت اعتدت الناس والحياة، كأنني ولدت هنا، كأن الأرض تبدأ وتنتهي في هذه النقطة، وقد أتخيل وجود حياة أخرى بعد الموت، فوق الأرض، لكنني أتقزز من لونها الواحد. أتجول بين الرسَّامين وأسرق النظر إلى لوحاتهم، كلها خضراء، لا شيء يميزها. وقفت جوار رسام مُسِن. لا يفعل شيئًا. ينظر في بياض اللوحة ولا يلوّثها بأي لون، يشده البياض. يشعر بوجودي أخيرًا فيقول «ماذا لو تركنا اللوحة على حالها وتأملنا جمالها؟» أحاول النظر في اللوحة البيضاء فلا أرى فيها شيئًا، أي جمال يقصد؟ يشير إلى الخطوط والنتوءات والظل، ولا أرى خيطًا أو ظلًّا، ليس فيها ما يراه، يأخذ نفسًا عميقًا ثم يقول «سأدعوها.. اللا شيء». لوحة اللا شيء، لم أفهم، عندما جاء الرسامون من كل مكان، وخلعوا قبعاتهم، وقالوا «شابوه يا سيدنا يا مولانا يا تاج راسنا». ابتسم لهم بامتنان وعلق اللوحة على الجدار، وبعد قليل ذهب إلى الجدار ورفعها وعلقها على الحامل، ولم يرسم فيها شيئًا، وأطلق عليها اسمًا جديدًا. لمّا شعر باندهاشي نظر إليّ وقال «هل تحبّ الرسم؟»، ولم أعرف ماذا أفعل لما أعطاني الريشة. أمسكت بها مترددًا. لوثتها بماء الطين، ورسمت دائرة خضراء في دائرة أكبر. شعرت أن اللون يقيدني ووددت لو تركتها بيضاء وتأملت جمالها، وقلت «الأخضر سيء!»، فقال الرسام المسن «الشجر أخضر!»، وبدا واثقًا تمامًا مما فقال، أما أنا فقد ظللت صامتًا للحظات، أحاول الفهم، قبل أن أسأل «ما الشجر؟». أشار إلى دائرتي وقال: «تذكر». كل الدوائر تقود إلى مركز، سفر تكوين، هناك، السماء ملبدة بالكراميل، والرسام يحكي كيف جاء هنا، وكيف وجد عملة لا مثيل لجمالها. شعرت بالفزع. أنا هذا الرجل

بعد خمسين عامًا أو قبل خمسين عامًا. بجنون تابعت الرسم، مددت يدي إلى ماء الطين. أفسدت لوحتي تمامًا

عندما عجزت عن تلوين الشمس. صرخ «لماذا لم تتركها بيضاء؟!» أذكر لون عملتي الذهبية، تميمة الحظ. علي أن أستعيدها. لن أظل سجينًا هنا للأبد. يمسني الجنون. احاول انتزاع عملتي من اللوحة فلا أقدر، لا أستسلم، أصدم رأسي بالجدار فأرى لونًا جديدًا، أحمر، أمسك باللون، وأصرخ، لم يكن اللون الذي أريده. يمسك بي الرسام المسن، يهدأني، ويشير إلى غرفة بعيدة مكتوب عليها (الخزينة) ثم يطبطب عليّ. في صباح يوم جديد، ولا ضوء للشمس، لا ضوء للعين، ولا شيء يرشدني للخروج. أرى الجدران والأيام فوقها على هيئة شرط مائلة، أيام، أسابيع. أخربش الجدران بدوري حتى ينتهي الشهر أخيرًا. ونقف جميعًا أمام الخزينة، يبدو علينا آلام البعث، ردة الروح لها وقع مؤلم، مع موسيقى عنيفة تخرج من مكان ما، توترنا. أرى آلاف البشر على الأرض، يقفون، وعلى الأرض دم. أجساد فوق بعضها. أقفز فوق رؤوس البشر. تمسك بي يد فتوقعني من أعلى، لكن أخرى تدفعني. أدهس الحشد والحشد يدهسني. أرى على الأرض عملات كثيرة. أمد يدي للإمساك بواحدة، فتهرس قدم أحدهم كفي. أصرخ. أمسك بعملتي وأزحف للخارج. ألهث، أترنَّح. أنهض. أعدو. يعدو ورائي الكثيرون. أصل إلى نافذة السجن. أصرخ مفزوعًا: «افتحوا». أنتظر قليلًا. أنتظر كثيرًا الجميع يطاردني. أصرخ حتى أفقد الأمل تمامًا. تنفتح النافذة أخيرًا. أرى ضوء الشمس. أصعد السلم. أتنفس. ألقي نظرة بالأسفل. أناس يهربون من أناس يهربون بدورهم من آخرين. أعدو في الشارع ويعدون. أرى الأشجار أخيرًا. أصيح: «الشجر أخضر!»، أنظر إلى السماء فأجدها ملبَّدة بالكراميل. أتنهَّد. أفتح قبضة يدي وأنظر إلى عُملتي الذهبية. تتَّسع عيناي من الفزع. إنها عملة أخرى، ليست تميمة حظي، أشعر بالكآبة. رأسي مطأطأة في الأرض، تعد خطاي، وظلي يستند عليّ. أرفع بصري فأجد العربة تنتظرني، يجلس أسفل مظلتها الموظف البائس، ينادي «تعال إليّ!»، أتردد لكنني أتقدم. لن أترك تميمة حظي مدفونة وسط بقية العملات، سأنزل وأجدها، وعندما أعود في ساعة ما، بعد أيام أو شهور أو سنين، سأعثر على فتاة لها رائحة الصابون.

غزال

هياكل عظمية وجماجم في الشارع. لم نر سوى هيكل عظمي واحد، لأننا لا نجرؤ على الخروج، أسفل الشمس، بعد نهاية العالم. البنايات مهجورة، والسيارات خربة في منتصف الشوارع. حربٌ دائرة بين القطط والفئران، وربما قادتنا هذه الحرب إلى هذه النقطة. لم نر هذه الأشياء لكننا نستطيع تخيُّلها. جمجمةٌ واحدة أكدت خيالاتنا. لا أعرف كيف وصلت إلى أقدامنا، لكنها طريقتنا الوحيدة للتسلية ولعب كرة القدم، في أوقات الفراغ.

غزالٌ ينظر إليّ، يقاطعني «أنتَ تروي بشكل خاطئ. تقول وقت فراغ! ما معنى وقت؟»، غزال أسمر، فارع الطول، ويملكُ القدرة على التمييز بين الأشياء. كان مُحقًّا. لقد وصل العالم إلى منتهاه. لا وقت، لا غد. أنا أحمق بما يكفي إذ قلت: «بعد نهاية العالم»، ومن بعدها تبدأ حكايتنا. الساعات تراقبنا. يومًا بعد يوم. في صمت مزعج.

غزال شعر بالغليان، قال: «ما زلت تدس السم في العسل. انتهى العالم أيها الغبي!». انتهى العالم بالفعل، لكننا ننتظر معجزة تُعيده، وتبدأه. ننتظر السيد صانع الساعات، كل يوم، كل ساعة. ولا يمر الوقت «لأن الوقت ميت». وحده السيد قادر على فعل شيء.

جاء السيد صانع الساعات أخيرًا. رمقني غزال بشك، وقال: «فعل ماضٍ، ماذا تريد أن تثبت بقولك؟». لا شيء. لا أريد أن أقول شيئًا. اللغة ضيقة. أنا مُحاصَر في أزمانها. لا أقول للوقت معنى، لا حاضر، لا ماضي، لا مستقبل، لكن السيد صانع الساعات جاء، هذا ما حدث أمام عيني. نزلَ من السيارة السوداء الفارهة، ومشى أسفل الشمس. نعرف أن الشمس تقتل، لكنها لم تمسه بأذى. صعد الدرج. رأيناه يرتدي بدلة أنيقة ونظارة شمسية. ابتسم غزال لي وقال: «لأن الشمس تقتل»، غزال داهية، يعرف كل شيء عن سيدنا. نعم. يرتدي نظارة شمسية، لأن الشمس –بعد نهاية العالم- تقتل. غضب غزال وقال: «قبل وبعد نهاية العالم، قبل وبعد». لا وقت للشِّجار.

تحركنا، أنا وآخرون تجاه المصعد. غزال وآخرون تحركوا إلى بوابة العمارة. قاموا بتعقيم الهواء وتعطيره. وضعوا سجادة حمراء طويلة على الأرض. مشى السيد عليها بحذائه اللامع. كان نظيفًا. رغم أن العفاريت تنفخ في الريح، والأعاصير ترفع السيارات وتلقي بها على المشردين. يهربون من الغبار بعيدًا. يرتعشون من الهلع.

فتح أحدنا بوابة المصعد إلى سيدنا، وشد آخر الباب حتى ينغلق. المصعد متهالك، وذو حواف حادة مثل سكين. انغلق على يد الرجل، فامتزجت دماؤه بالسجادة الحمراء. صعد السيد. كنا نشد حبال المصعد بكل قوتنا، يرتفع المصعد وتتقطع أنفاسنا. أصرخ في العُمَّال مُشجِّعًا «هيلا هوب.. هيلا هوب»، بينما يعدو غزال على الدرج سريعًا ليفتح الباب للسيد. أكلت الحبال لحم أيدينا، لكن لا طريقة أخرى لصعود المصعد غير هذه. فتح غزال الباب بيده. سالت دماؤه. ألقى بيد الرجل المقطوعة بعيدًا. صعد من كانوا بالأسفل ليقوموا بما عليهم. فهناك من يُعد القهوة. قهوة تعدل المزاج وتجعل سيدنايفكر في طريقة جيدة لإنقاذ العالم، يوزع علينا أدوارنا. أمرني بتمثيل دور عقرب الثواني. وقفت معوجًا. ركبني أحدهم لتمثيل دور عقرب الدقائق. تعالت آهاتنا كأنها تكَّات. ضحك السيد وصفق كثيرًا. قال: «هذا مُلهم». كلمات السيد قليلة، لكنها تُشعل فينا الحماس وتهدينا إلى الطريق.

في نهاية اليوم. وقف السيد على الدرج بينما جلسنا بالأسفل على الأرض. وبَّخَنا قائلًا: «لا سبيل آخر. لا بُد أن تتحرك عقارب الساعات. في الخارج أكوام من الجثث، والمشردين، والفئران. الجوع يأكل كل شيء. إذا لم نفعل شيئًا سيأكلنا الجوع أيضًا. العقارب تهرب في شقوق الصخور. أطاردها من أجلكم. في مدينة يأكلها الغبار، وأنتم هنا نائمون، وتطلبون راتبكم في نهاية كل شهر». مال عليَّ غزال وهمس في أذني: «النوم؟ ما النوم؟»، غزال يعرف كل شيء، ولا يعرف النوم. قلت: «غفوة بين موتين». قال: «لكن الوقت ميت!»، أكدت قائلًا: «نعم. الوقت ميت». نظر إلينا السيد صانع الساعات بفخر قبل أن يغادر بوابة المصنع. تحرك بالسيارة السوداء الفارهة فأطلقت في وجوهنا الدخان. وزع غزال علينا وردية الحراسة. قال: «انتبهوا. النوم فعلٌ مجازي». الأفعال تتضمن زمنًا، واللغة وعاء. حاولت سرد حكايتنا، بعد انتهاء العالم، بإيجاد أفعال لا ترتبط بالزمن. أفعال خالدة، مطلقة. أريد أن أقول: «نمت»، ولا أقصد فعلًا ماضيًا. فكرت. أفكر. سأفكر. رأسي رقعة للحرب. أسماء وأفعال وألغاز، وعقارب نحاول الإمساك بها في برطمان زجاجي. لماذا أنام؟ لن أفعل! مشيتُ مترنحًا في قاعة طويلة، سقفها مليء بالمصابيح الصفراء. أقول لنفسي «اللغة هي الدليل». أمشي وراء الزمن. أرى العمَّال يمسكون بنادقهم، والبعض ينام مستندًا على الجدار. أسمع شخيرهم. المجاز معدٍ. ألمح نافذة تُخفي ظلام العالم. أنظر من خلفها فأرى شوارع بلا أعمدة إنارة، ومشردين يمشون كالموتى. أسمع غزال يصرخ فينا: «اقتلوهم جميعًا!». لا أطلق النار معهم، بل أقفز من النافذة. أهربُ بعيدًا عن الأعيرة النارية. أريد أن أعرف الحقيقة قبل أن تشرق الشمس، أريد أن أفهم اللغة. أرى جماجم كثيرة وهياكل لم يتبقَ منها شيء. قطط الشارع تأكل لحم الجثث الطازج والعفن. ولا أحد يمشي هنا في الشارع الفارغ غيري، قبل أن أصل إلى فتاة تمسك وردة حمراء في يدها. تغني. يشدني غناؤها فأتبعها وأمشي على اللحن. أرقص. أقفز. تنظر خلفها فتراني. أقترب منها فتقول لي بعهر: «أستطيع أن ألد». وتشير إلى بطنها المنتفخ. أتحرك بعيدًا عنها متقززًا. ترى الذعر في عيني، فتُذعَر. تقول: «لم أقصد إخافتك، لكنها الحقيقة!».

ولدت. تلد. ستلد. امرأة مجنونة. بل فتاة مجنونة، لم يقربها رجلٌ. أحلام عذارى. لا أحد يملك الزمن. وماذا عن بطنها المنتفخ؟ غازات. غازات لا أكثر. لا بُد أنها أكلت من جثث الشارع. أمضي بعيدًا. لكن صوت بكائها يصل إليَّ. كان أنينًا متقطعًا. جلستُ جوار جدار. حاولت أن أسد أذني، فلم أستطع. يدٌ في الظلام لامست كتفي فانتفضت. نظرت إلى صاحبها. كان أشعث، ومتربًا. نظر إليَّ بتقزُّز، وقال: «لماذا تركت الجميلة تبكي؟». وأراد أن يضربني. نهضتُ متعثرًا. ألقى عليَّ حجرًا، وصاح: «سأقتلك، وآكل لحمك، وأتبولك في منتصف الشارع!». صرخت بغيظ مجنون: «أيها الغبي! لا وقت، لا وقت لتفعل ذلك!»، فضحك وقال: «أنا أملك الوقت!»، وأخرج من جيب معطفه الرمادي ساعة عتيقة. رأيت عقاربها. سمعت تكاتها. كانت تعمل. كانت عقاربها تتحرك بشكل طبيعي. قال المشرد: «تك. تك. تك أيها المهرطق». لم أستطع الوقوف. سقطت أسفل قدمي هذا النبي. قلت: «تعال ننقذ العالم معًا». فقال: «لا شيء. لا شيء سينقذ العالم أبدًا». طبطب على ظهري، وقال بصوت حزين: «لكنك، كان بإمكانك أن تجعل تلك الجميلة تضحك طوال الليل!».

تركتُ المشرد ومشيت أتبع بكاء الجميلة. وجدتها أسفل سيارة حمراء. مددت لها يدي فبدت مذعورة. لكنني طمأنتها عندما قلت لها: «لن آكل لحمك. تعالي معي». سارت معي حتى بناية

مهجورة. سألتني: «هل هذا بيتك؟»، هززت رأسي بإشارة لا تعني شيئًا. وضعت يدها على بطنها بفزع. كادت أن تتكلم لكنها لم تفعل. صعدنا الدرج المظلم. وفي منتصف البناية تركت يدي. قالت: «ماذا عن الأشباح؟»، ضحكتُ: «قصص أطفال». تقدمت أمامها حتى أطمئنها. قلت لها: «هنا». وقفت أمام باب. أخرجت سلسلة مفاتيح قديمة. لم أستعملها منذ زمن. قالت بقلق: «من الأفضل أن نطرق الباب. أن نرن الجرس». لم أرد عليها. أخرجت المفتاح الصحيح. انفتح الباب وحده. رأيت بالداخل امرأة منكوشة الشعر، تنظر إليَّ بغضب. سألتها: «أنتِ! من تكونين؟»، فأجابتني: «امرأتك أيها الصعلوك». أغلقتُ الباب وعَدَونا، أنا والجميلة، بعيدًا. قالت لي في الشارع: «لم تخبرني بزواجك!»، قلت لها: «نسيت!». وبالأعلى، كانت امرأتي المجنونة تلقي بملابسي على الرصيف. لم أجمعها. مشينا مبتعدين عن هذه البناية المسكونة. وبعد قليل قالت المرأة: «لماذا نسيت؟». لم أعرف ماذا أقول لها. لكنها قالت: «لأنك تفكر كثيرًا في إنقاذ العالم، أليس كذلك؟!»
غفونا أسفل سيارة. شعرتُ بيدها تلتف على جسدي. رأيت ابتسامة تنبت في وجهها. غفوت على ابتسامتها واستيقظت على ضوء الشمس. تعفر الشارع. فزعت. أيقظت الجميلة وقلت: «الشمس! هيّا بنا نهرب». لكنها لم تفعل. نظرت إليَّ باندهاش. لم أهتم بها. مشيت وحدي في الظل. لا أملك نظارة شمسية مثل سيدنا، أو بدلة غالية، أو سيارة فارهة تقيني من الضوء. «والشمس تقتل». تذكرت غزالَ والأصدقاء. ترى ماذا يفعلون الآن؟ ربما يلعبون كرة القدم.
أرى جمجمة صغيرة في الشارع. أركلها. الشارع مليء بالجثث والذباب، ولا أحد يمشي سواي. أين الناس؟ صرخت: «يا ناس. أنا وجبة طعام شهي. تعالوا إليّ». لكن لم يأت أحد. شممت رائحة شهية في الهواء. مشيت أتبعها كالنائم. دخلت إلى شارع جانبي. رأيت بشرًا كثيرين. يقفون على سور. تسلَّقت على رأس أحدهم ورأيت خادمة تُعِدُّ الكباب على الفحم، وسمعت امرأة تصرخ من الفيلا. نظرت إلى أسنان المشردين، يسيل لعابهم وأنا مثلهم. تعالى صراخ المرأة من جديد. فكرت أن أحد المشردين يأكلها الآن. قفزت من السور دون تفكير. الكلاب تنبح وأنا أعدو. أحمي مؤخرتي. أقفز. أقفز من جديد وأصل إلى الفيلا. أغلق الباب علي. على الحائط المقابل ساعة كبيرة. أسمع تكاتها «تك. تك. تك. أيها المهرطق. الوقت للجميع». أصعد الدرج، أتبع الصراخ. أرى طبيبًا داخل غرفة النوم يشد من رحم المرأة طفلًا. نظر إليَّ الطبيب غاضبًا وقال: «تسعة توائم. ساعدني!»، شددت الأطفال من رحمها. مثل منديل أحمر، ملتصق بأزرق، وأصفر، وشعرت أن الحمام سينفجر الآن من رحمها، ويرفرف عاليًا، قبل أن ينفجر مثل قنابل الألوان. ارتفعت الزغاريد وأنا أغادر. مشيت شاردًا. تلك المرأة ولدت. تسعة أشهر كاملة. لا أصدق نفسي. فتحت باب الفيلا. رأيت السيد صانع الساعات في الحديقة، يتذوق الكباب، وينظر إلى ساعة يده. الساعات تعمل. النساء تلد. السيد يعرف ذلك. عليَّ أن أجد المشرد. يمكننا أن ننقذ العالم.
سمعت أعيرة نيران. التفتُّ. رأيت المشردين وقد قفزوا السور. يجرون، وفي أيديهم قطع من الكباب، يأكلونها بنهم، والكلاب تطاردهم. قفزتُ السور عائدًا. مشيت أسفل الشمس. مشيت طويلًا في الشوارع حتى وجدت المشرد أخيرًا. يقف على سور بناية عالية، ويتبول من أعلى. صاح: «لا أمل في نهاية سعيدة!». صرخت: «لا تقفز». ابتسم. لا بُد أنه ابتسم، واكتشف الحقيقة فجأة عندما قال: «الموت نهاية سعيدة». قفز من الطابق السادس. تفجرت دماؤه على الإسفلت. جاء المشردون من الزوايا وأكلوا بقاياه. لم أستطع النظر. مشيت حزينًا حتى وصلت إلى مكان الجميلة. وجدتها تلد بين القطط. سمعتها تموء. وضعت يدي في رحمها فأخرجت أمعاءها دون قصد. اعتذرت لها

لكنها بصقت الدماء في وجهي، وماتت. لا أعرف ماذا أفعل الآن. كانت لديّ خطة، تقضي بوجود المشرد والجميلة على قيد الحياة. كنا سنبني مصنعًا للساعات، ننافس مصنع السيد. السيد يُعيد الوقت للخلف، ونحن نشده إلى الأمام. لكن لماذا نبني مصنعًا جديدًا؟ يمكنني فقط أن أحكي لغزال كل شيء. الساعات تعمل. النساء يلدنَ. السيد يعرف ذلك. الشمس لا تقتل. ضوءُها يغسلنا. الجثث كثيرة في الشوارع، لكن الشمس طيبة. يمكننا أن نفعل شيئًا، أن نغير العالم. في المساء وقفت وسط المشردين. كانوا يحاولون اقتحام المصنع. يصرخون: «الوقت لنا جميعًا!». أعرف ما سيحدث. غزال والعمَّال يقفون وراء النوافذ، سيبندقون الناس، لكنني أعرف مَنفذًا. نافذة لا يحرسها أحد. تجاوزت الحشد بخفة. أعرف موقع النوافذ، والجدران، وقوس النيشان. أمشي بين الرصاص، أرقص. أسمع موسيقى قلبي تدق. ولم أعرف أن غزالً يراقبني. قفزت من النافذة فوجدت بندقية في مؤخر رأسي. قلت بصوت مبحوح: «غزال!». لم أسمع ردًّا. قلت: «غزال. عرفت الحقيقة». سألني سؤالًا واحدًا: «الشمس تقتل أم لا؟». همست: «الساعات تعمل. النساء يلدنَ. السيد يعرف ذلك، واللغة، اللغة هي الدليل يا صديقي!». لم يرد عليّ. قلتُها مرة أخرى: «غزال!». وسمعت عيار النار، ورأيت أشلاء رأسي.

بقعة دم على الحائط، وجمجمة جديدة تصلح للعب كرة القدم، في أوقات الفراغ.

Pelé

استيقظتُ. وجدتُ نفسي في مصنع للحوم. أقف أمام سير معدني. كل شيء بارد. على السير قطع لحم، أغلبها دُهْنية ومتسخة بالدم. فوقها ذباب كثير، في عيني ذبابة، وعلى شفتي ذبابة. لم أحاول هشها. كنت كسولًا وهشًّا. بطرف لساني اصطدتها مثل ضفدع. وقفت أخرى عليّ. سمعت طنينها، فابتسمتُ. هذا غذاؤنا أغلب الوقت. نظرت إلى العمَّال من حولي، كلهم يعملون بنشاط. بعضهم يقف أمام السير المعدني مثلي، وهناك من يضرب السير بمطرقة كلما توقف عن العمل، وآخر يمسك بسكين حاد ويمزق اللحم إلى قطع ويشكِّلها كيفما شاء. يقول ضاحكًا «هذه ذراع امرأة». ويضحك آخر «لا أريد ذراعًا، أريد أن آكل نهدًا». للرجال أذواق غريبة في الدجاج، فهناك من يفضل الورك أو النهود، وهناك من يفضل أشياء أخرى.
في الركن عمال يغلِّفون قطع اللحم بأكياس بلاستيكية، وعمَّال يضعونها في كراتين. عامل النظافة يراقبهم حاسدًا. الدم يملأ أياديهم وملابسهم، لا يرتدون قفازًا. أسمع عامل النظافة يقول «كم أشتهي الدم!». بينما يتناقشون في حقيقة المرأة: دمها طاهر أم نجس؟ دمها ماء أم فقاعات هواء؟ تركتُ السير المعدني؛ صاح الرجل ذو المطرقة الكبيرة «أنتَ!». بينما لوح الآخر بالسكين غاضبًا. تجاهلتهما. مشيت وراء عامل النظافة المُسِن. كان يجر العربة بيد واحدة، وبالأخرى يمسك بالمكنسة. سعل. «التراب نجس». أخرج زجاجة ماء وسكبها على التراب، وراقب الطين، قبل أن يمسك بقطعة كبيرة في يده، ونظر إليها بحنين. قلت لنفسي «هذا الرجل عطلان!». لا يختلف كثيرًا عن السير المعدني، لكن همسات الرجل وصلت إليّ، قال «عليّ أن أجد طريقة للعودة». قالها وتوضأ بالطين. لم أفهم ماذا يقصد، أو ماذا يفعل، رغم هذا شعرتُ بالخشوع.
المصنع أقرب ما يكون إلى مدينة كبيرة جديدة. فيها شوارع لا أعرفها. أمشي في طرقاتها. أجد غرفًا كثيرة. أحاول فتح إحداها. تظهر عبارة على لوحات إلكترونية (أَدْخِل تصريحَ الدخول). أدخل كلمة نهد. فتكرر العبارة نفسها. (أَدْخِل تصريحَ الدخول). أضرب اللوح بيدي؛ فيصِرّ اللوح الإلكتروني. ويصدر أصواتًا مزعجة. ادخل. ادخل. ادخل. ولما حاولت فتح باب الغرفة لأدخل. تظهر العبارة كاملة إليَّ: (أَدْخِل تصريحَ الدخول). تركت الغرفة وتابعت المشي. وجدت امرأة تقف أمام باب. تُخرِج لي نهدها وتفعل أشياء بذيئة. نهدها أبيض. تشير إليَّ. أقترب منها. تقول «تعرّ»، أنظر إليها مندهشًا! فتعيد قولها «تعرّ حتى أراك». يذكرني قولها بشيء ما. أسألها عن ذاكرتي واسمي، لكنها تشير إليَّ أن أقترب، ولما أقترب منها تسألني عن ذاكرتها واسمها.
ثمة شيء غريب. أسمع صفيرًا حادًّا. تقول المرأة بذعر «إنها الثانية عشرة». أسمع تكتكة الساعة في يدها. ترتبك المرأة. تقول «انظر هناك»، فأرى عمَّالًا يَعْدُون إليّ. ألتفت إلى المرأة فأجدها تغلق الباب عليها. أمسك بالباب. ترجوني «لا تأكل نهدي». فأترك بابها مندهشًا. أفكر في الهرب، لكنَّ الرجل ذا السكين يمسك بيدي اليُمنى، وصاحب المطرقة يمسك باليسرى. ويبدآن بالرقص. «هيّا.هيّا»، يصيحون في أذني. أمشي معهم مختالًا راقصًا. يدندنون لحنًا غريبًا وممتعًا. نصل إلى قاعة واسعة كبيرة، نجلس على موائد الطعام. يضعون لنا قطعًا كبيرة من اللحم. أسألهم «لكن بهذه الطريقة يخسر المصنع». فيُجيبُني أحدهم «النساء يلدن». فلا أفهم ماذا يقصد! يمد يده ويقول «أنت غريب. تسأل كثيرًا ولم نسألك مرة، هل تحب النهد أم الورك؟». أنظر إلى الرجل وأقول

«لا أذكر». فيُجيبُني الرجل ذو المطرقة «النهد حلو، طري، والحلمة رقيقة، عضها، انتزعها بأسنانك، هيّا..هيّا افعل ذلك». يتقزز ذو السكين ويقول «الورك أفضل، كبير بما يكفي، وقريب من الروائح الطيبة». أتقزز أيضًا «لا أعرف. لا أحبّ اللحم». ينظر إليّ الجميع متعجبين، ويصمت كل من في القاعة. لا أنظر سوى لقطعة اللحم الموجودة في طبقي، لكنني أشعر بأعين الجميع تخترقني. أهمس «أنا نباتي». لا تخرج الكلمة من فمي. أمد قطعة اللحم إليّ وأمص دماءها.

لا أعرف لماذا أشعر بذلك؛ أتقزز من اللحم.. الدم.. وسكين الجزار. لم أذكر ما يؤكد أنني نباتي. أقف أمام السير المعدني. أضع قطع اللحم الكبيرة من الصندوق المعدني في السير. كلما أمسكت قطعة أو تذوقت واحدة في ميعاد الاستراحة شعرت برغبة في القيء. لكنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك. يقول ذو السكين «سأشكل نهدًا كبيرًا». يرد ذو المطرقة «النهود الخفيفة لا طعم لها». ألمح عامل النظافة يقترب. يبرطم بكلمات لا أفهمها. يتابع المشي مبتعدًا. أترك السير المعدني وأمشي. هذه المرة يمشي ورائي ذو السكين الحاد. يسألني «إلى أين؟». أخبره مرتعشًا بأمر عامل النظافة. أقول «هذا الرجل يلعب بالطين لا الدم». يرد عليَّ قائلًا «الطين والدم طريق واحد». ومع هذا يبدو غاضبًا. يأمرني بالعودة. ويتسلل وراء الرجل المُسِن. لا أعود. أتسلل بدوري وراء الجزار. أرى عامل النظافة يقف أمام إحدى الغرف. يتلفت خشية أن يراه أحد. اللوح الإلكتروني يردد. (أَدْخِل تصريح الدخول). يكتب كلمة (نهد). اللوح الإلكتروني يردد «خطأ». يكتب كلمة (ورك). اللوح الإلكتروني يردد «خطأ». يكتب كلمة (طين). اللوح الإلكتروني يردد (التصريح صحيح، يمكنك الدخول). يدخل عامل النظافة. ويجري الجزار وراءه ملوّحًا بالسكين. ينغلق الباب عليهما. بركة من الدم تخرج من أسفل الباب. لونها أحمر مثل عصير توت. تلوث حذائي الأسود. بطرف إصبعي أحمل قطرة منها وأتذوقها. تقول العاهرة مِن ورائي «ينقصها بعض السكر». أقول لها «أريد أن أسكر». تشير إليّ أن أقترب. أمشي تجاهها وأترك على الأرض آثار دم. في غرفتها كل شيء أحمر قان، شفتاها، قميص نومها، ستائر النافذة. أريد أن أرى الشمس. أزيح الستار فلا أرى غير جدار. أنزع قميصها فلا أرى جسدًا. في بطنها ثقب معدني كبير. بيدٍ باردةٍ تلمسني. ترتعش أطرافي. تداعب شعر صدري بيدها. تلمس حلمتي فأقشعر. تقول «تبدو حقيقيًّا». أسألها مشفقًا «لماذا لا تبدين كذلك؟». تستلقي على الفراش فأرى فرجها. هُوَّة لا قرار لها. تقول «لله حكمة.. لا بُد أن لله حكمة». أسألها «هل تعرفين هذه الحكمة؟». فتقول «لا». أسألها «هل يعرفها أحد أبدًا؟». فتقول «لا». وتبكي. أشفق عليها من البكاء. أطبطب على ظهرها. أقول «ربما يكتمل جسدك ذات يوم». فتقول شاردةً «ربما». وتنظر في المصباح الأحمر. تقول «أنتَ لن تحبني الآن»، أقول «أنا لن أحبك الآن». وأتركها لأغادر الغرفة، وقبل أن أغلق الباب أسمع صوت الصفارة يعلو. تغلق عليها الباب وهي تقول «لا تأكل نهدي». أنظر إليها متعجبًا من ذعرها «لكنكِ لا تملكين روحًا». وتنجح في إغلاق الباب على نفسها. أسمع هتاف العمال من ورائي. ألتفت إليهم. الرجل ذو السكين يمسك بيدي اليُمنى، وذو المطرقة الكبيرة يمسك باليسرى. ويبدآن بالرقصِ. «هيّا..هيّا»، يصيحون في أذني. أمشي معهم مختالًا راقصًا. يدندنون لحنًا غريبًا وممتعًا. نصل إلى قاعة واسعة كبيرة، نجلس على موائد الطعام. يضعون لنا قطعًا كبيرة من اللحم. يقول أحدهم «اللحم سيء اليوم». يقول آخر «كانت بقرة عجوزًا، لا شك». أتحسس ذراعي.

أجدها مليئة باللحم. أعرق. لعرقي طعم الملح. يقول الجزار غاضبًا «قطع اللحم هذه ينقصها الملح». أبتلع ريقي بصعوبةٍ. يراني الجميع وينظرون إليّ قبل أن يقهقهوا معًا.
بعد الاستراحة أغادرهم. أعود إلى السير المعدني. أهمس سرًّا «اللحم فاسد». أنظر حولي فلا أرى صديقًا. عامل النظافة لن يظهر. أتذكر العاهرة، لا بُد أنها تعرف شيئًا. أنتظر اللحظة المناسبة وأتسلل عائدًا إلى زقاقها. أقف أمام غرف كثيرة. أسأل نفسي «أي غرفة كانت؟». أجد اللوح الإلكتروني يردد (أُدْخِل تصريح الدخول). أتأكد من عدم وجود سواي. أكتب كلمة (طين)، ينفتح الباب فأدلف. في الداخل ورق كثير موضوع على مكتبٍ. معايير الجودة: مواصفات اللحم الجيد، العمال، الماكينات، المشرفون. لماذا لم أرَ مشرفًا؟ أترك الغرفة وأدخل إلى أخرى. أقف أمام مكتب آخر، على المكتب شكاوَى كثيرة. مكتوبة بخط اليد. تلمح عيناي ورقة فارغة وقلمًا هناك. أفكر في كتابة شكوى. لا أعرف فحواها. المكان سيء، الماكينات تصدر صوتًا مزعجًا، اللحم مقزز. لا أعرف ماذا أكتب تحديدًا. أنظر لأعلى فأرى كاميرا مُصوَّبة عليّ، أرفع يدي للأعلى مستسلمًا وأعطي وجهي للجدار. أظل هكذا قليلًا. لا يأتي أحدٌ للقبض عليّ. أبتسم. أغادر الغرفة إلى أخرى، فأرى مكتبًا، على المكتب ورقة واحدة مكتوب فيها «ما بعد الذبح». أقرأها بنهم شديد. أشبع. أضعها في جيبي الخلفي. أقول «لا بُد أن أجد العاهرة». ثمة فرصة لتكون امرأة كاملة. أدخل غرفة أخرى، لا أرى مكتبًا، بل آلاف الزجاجات، في كل زجاجة طفلة أو طفل. أخرج مذعورًا. أرى الجزار أمامي. أقف متسمرًا قبل أن أسأل بابتسامة مرتعشة «أين دورة المياه؟»، فيرد «ما من دورة مياه»، وينظر إليّ قليلًا. أتبول هنا. يسيل الماء ساخنًا بين ساقيَّ. يبتسم إليّ ويقول «ثمة بناطيل أخرى!». ويرفع السكين للأعلى. يشق رأسي نصفين. أجد السكين مغروسًا في رأسي. يطلب مني الهدوء، لكنني أجزع. أعدو هاربًا، والسكين في رأسي مثل صداع. يعدو خلفي. لا أتوقف. أجد العاهرة أخيرًا أمام غرفتها. تنادي عليّ «تعال أيها العطلان». لا أفهم سر وصفها، لكنني أعدو إليها. تغلق الباب علينا. تستلقي على فراشها. تقول «من رحمي يولد الأنبياء». أستلقي عليها. أقبّلها. أسألها «كيف؟» هي بلا رحم. تزيحني من فوقها غاضبة. تقول «تسأل كثيرًا. ستقتلك الأسئلة». أسألها «كيف ستقتلني؟»، الأسئلة تُحيي. أسمع صوت المطرقة الكبيرة تضرب الباب. أرجوها «دثريني». تشير إلى خزانة ملابسها فأذهب. في الخزانة أرى طريقًا. أعمدة إنارة لا تعمل، ولافتات مكتوب عليها «إشارة بوجود عطل غير قابل للإصلاح». وبجوارها علامة استفهام. «إشارة بوجود عطل قابل للإصلاح». وبجوارها علامة تعجب. أسأل «ماذا يعني ذلك؟»، أسمع سارينة الإنذار تعلو. وأعمدة الإنارة تشتعل فجأة. كل شيء مفزع الآن. السارينة مفزعة والطريق مفزع، ولا سبيل للعودة. أخشى على العاهرة التي تركتها وحيدة في فراشها. أحاول أن أنتهي من الطريق، فلا ينتهي. أظل أعدو مستندًا على الجدران. أركل أشياء في سبيل ذلك، لا أرى حقيقتها. أمد يدي وأمسك واحدة منها، فأجدها عينًا لا تعمل، عينًا معطوبة في الغالب. أنظر حولي فأجد آلاف الجماجم فارغة الأعين. نقطة النور تلوح في النهاية. لا أتفاءل أبدًا لمّا أرى النور. أغادر النفق، فأرى رجلًا ممسكًا بمصباح، يسألني «هل أنت ثائر؟»، أخاف من الرد. أقول «لا أحب كرة القدم». يسألني عمَّا أقصد، فأشير إلى لوحة معلقة على الجدار، فيها رجل أسمر، يرتدي فانلة صفراء. يسألني «لا تحب Pelé؟»، فأقول «أحب عامل النظافة المُسن، كان يمسك قطعة الطين ويردد أشياء ذات معنى». يمسك الرجل يدي، ويقول «تعال معي». يشير إلى صور كثيرة معلقة على الجدار. نجوم كرة القدم والفن والرقص. يقول «كل هؤلاء يأكلون لحم

مصنعنا». أقول معترضًا «لم أر إعلانًا يؤكد هذا!». ينظر الرجل بشك مرة أخرى، يسألني «هل أنت ثائر؟». أخاف من الرد. أقول «أنا نباتي. هذا كل ما في الأمر». تلمع عينا الرجل فجأة. يسألني «هل تريد إيجاد عامل النظافة المسن؟». أقول «نعم، وأريد أن أجد للعاهرة روحًا، لماذا تركوها عارية هكذا؟»، هل قلت هذا؟ لا أعرف. تخيفني تلك النظرة التي تسكن عيني هذا الرجل، من أسفل العوينات الكبيرة التي يرتديها يرمقني، نظرة باردة. أظل صامتًا حتى نصل إلى باب. يكتب على اللوح الإلكتروني كلمة (طين)، فينفتح الباب. أجد قاعة كبيرة، في منتصفها وعاء ضخم، مليء بالفقاعات الحمراء، والبرتقالية. أرى عددًا كبيرًا من العمال يحيطون بي. يقول الرجل «أنتَ تسأل كثيرًا، وهذا يعني أنك عطلان». يردد العمال وراءه «مسكين.. مسكين». أقول بحزنٍ «أنا أسأل كثيرًا، أنا عطلان».

مثل سحر أزرق أرى الحياة الآن. الجميع يحيطون بي. الرجل ذو السكين يمسك بيدي اليُمنى، وذو المطرقة الكبيرة يمسك باليسرى، ويبدآن بالرقص «هيّا..هيّا»، يصيحون في أذني فأمشي معهم مختالًا راقصًا. يدندنون لحنًا غريبًا وممتعًا. أقف على حافة ذلك الوعاء الكبير. أرى الفقاعات الحمراء والبرتقالية ترتفع للأعلى، وتنفجر بدويٍّ رائع. أقول «ربما أجد عامل النظافة هناك». أقفز في الوعاء. يسيح جلدي. أترك قطعًا من العظم، أما لحمي فيخرج في صندوق معدني بارد. لا يبقى مني سوى شريحة من المعدن. قطعة صدئة هي الروح. يقول الرجل الخبير لي «سأكون طيبًا معك، سأُصلحك وأُعيدك إلينا، كلاعب كرة قدم شهير». أشعر بالسعادة أخيرًا. يعلِّقني في آلة لم أرها من قبل، ثم يضعني في علكة، ثم يمضغني، ثم يغطيني بهيكل من عظم. أشعر بالبرد. ولأيام أظل معلقًا هكذا، حتى أصرخ «اللحم. إليّ باللحم».

في اللحظة الصغيرة بين الميلاد والموت، سكنت الأحلام رأسي، وجدتني أطارد كرة قدم، مرتديًا فانلة البرازيل، أراوغ لاعبين وأسدد الأهداف، وعندما ألقيت نظرة على الكرة وجدتها جمجمة، شعرت أنني أعرف صاحب هذه الجمجمة من حياة أخرى، وربما كنت أنا، لكنني عندما ولدت من جديد، لم أذكر شيئًا، وظللت أتابع المباراة مع الأصدقاء، وأنا أمزق اللحم بأسناني، ولم تزعجني الذبابة التي تسكن عيني.

طائر منسي

بوابة كبيرة لحديقة الحيوان، تعلوها لافتة مبهجة الألوان، تتداخل فيها حيوانات كثيرة: حمار وحشي مع نمر أفريقي، وفيل بزلومة كبيرة يتدلى منها ثعبان أخضر. على ظهر الفيل يجلس إنسان الغاب ممسكًا بثمرة مانجو. النمس المصري يقف هناك في الركن، على قدمين، بينما يرقص بعض القردة في دائرة يتوسطها كنغر أحمر. كل هذه الحيوانات تتداخل معًا، فلا تعرف رأس الغوريلا من طيز الفيل. أنا لا أعرف الفرق. أرتدي زيّ العمل المعتاد. أمسك بخرطوم طويل، أسقي الورود والأشجار، والعصافير تزقزق. يصيح الحمار الوحشي، فيسقط الخرطوم من يدي، وأعتذر للحمارِ كثيرًا. تختلط الأشياء عليّ. أنا لا أنام. منذ أيام. أتلعثم. أفكر. لم أعتد التفكير. يقول المدير لي «أنتَ فلاح، في رأسك ساقية تدور، والعالم أثقل!»، لا أعرف العالم، لكنني أعرف جيدًا حديقة الحيوان. هنا أعمل. أفرش اللون الأخضر على الأرض، فتنبت ورود وأشجار، وتجد العصافير منازلها. تزقزق بالأعلى، وقد تشخ الآن عليّ. عادةً تفعل هذا، في اللحظة التي أبتسم فيها. أبتسم لأنها لم تفعل الآن، فأجدني قد ابتللت.

تأخذ الحديقة شكلًا دائريًّا، أمر جوار البحيرة فأرى طيور أبو منجل الصلعاء، وطيور الفزان الذهبية. وأرى إوزًّا فرعونيًّا وبط البلبول. أحبُّ لحم البط. شهيّ ويجعل لُعابي يسيل. أتمالك نفسي. سنوات مرت عليّ في هذا المكان، جاءت حيوانات كثيرة بعدي وطيور. حفظت أسماءها ودفنت بعضها، واليوم يراودني شعور غريب. لا أرى الأشياء على حقيقتها، جفناي يتدليان على عيني. ربما صِرتُ مُسِنًّا. ضعُف بصري، انحنى ظهري. ويسيح وجهي من الشمس. لافتة أصطدم بها أثناء سيري. أقفُ أمامها. أقرأ العبارة المكتوبة عليها بصعوبة (إلى زوار الحديقة، رجاءً (أيها الحمقى) لا تعطوا الحيوانات سجائر). عبارة غريبة. الزوار مبتهجون. يرتدون ملابس ملونة، وفي أياديهم بلالين تطير عاليًا، لها وجوه الحيوانات، أو الطيور، وعلى أحدها وجهي. غريب. ثمة شيء يحدث في هذا المكان. أنظر إلى الجهة الأخرى فأرى عددًا كبيرًا من الناس، يقفون في سلسلة فوق بعضهم، كي يشعلوا سيجارة لزرافة. أقترب منها. للزرافة عينان واسعتان، ورموش سوداء، ترمش بإغراء للناس فلا يقدر على مقاومتها أحدٌ. تدخِّن السيجارة بشكل رائع. لا تسعل. لم تكن سيجارتها الأولى. لماذا هذه اللافتة؟ ثمة مؤامرة. أسمع أصوات الحيوانات. أنظر إلى الجهة الأخرى في جبَّانة القردة. صخور تعلو بعضها، وكهف يُطل أسفلها. قرد يهمس في أذن قرد. سمعت ما قال جيدًا. رغم المسافة البعيدة التي تفصل بيننا، كانت الكلمات بشرية. لمّا رآني القرد التفت إليّ بابتسامة تُظهر صفَّي الأسنان البيضاء، وبعدها أعطاني مؤخرته وقال «تعال قبِّلها!». ثمة شيء خاطئ. على المدير أن يعرف ذلك. القرود تخطط لشيء، هذا واضح. والزرافة تدخن التبغ. أُسرع الخطى نحو مبنى الإدارة. سلسلة من المباني الصغيرة، مكتوب عليها (ممنوع الدخول لغير العاملين). أركل الباب بقدمي وأمشي في الممر الضيق. غرف كثيرة عن يميني وعن يساري، أسمع همسات تعلو منها. لا أستطيع أن أحدد الكلمات. أمام مكتب المدير أقف. أسمع نهيقًا بالداخل. أفتح المكتب مُسرعًا فأرى المدير يسعل. ينظر إليّ مندهشًا. يسألني غاضبًا «هل جننت؟»، أتراجع مفزوعًا وأنا أهمس «رأيت ذيل المدير!».

فكرتُ في صديقتي الطبيبة، قد تساعدني في علاج هذا الأمر. في معملها قارورات حمراء وزرقاء. أحبّ الفقاقيع التي تغلي فيها، والبخار الذي يرتفع. أود لو أرتفعُ أيضًا. أقف أمامها وأخبرها بما حدث. أسألها «هل هذا مرض؟ مديرنا حمار!». تقول إن الأمر عادي، في كل مكان. «تقبَّل هذا!». لا أتقبل الأمر. مَن وراء هذه اللافتة؟ «لا تعطوا للحيوانات سجائر!». أذكر معلم اللغة العربية، كان يضربني دومًا على قفاي. والدرس هو أدوات النهي، ونُهى تجلس خلفي. تضحك بلا سبب. أقول لها «اسمك سيء!»، فتقول «أحبّ أن أكون سيئة!»، تقترب مني وتكشف عن ساقيها، تقول «دع الأمور تمضي!». أقول «لا!». تقول «النهي عن المنكر.. منكرٌ»، وأنا أردد «لا! لا!». وأقبِّلها. تضع الطبيبة يدها عليّ، وتقول «رأسك هذا بلوى»، وتلمسني. أرتعش. تقول «لا!». وتقبِّلني وأقبِّلها، وأنا أصرخ «النهي عن المنكر..منكر!». تنتابها زُغطة فجأة، تتراجع للخلف. أنا فلاح. أعرفُ الأرض، والحقول، والطيور. أقول لها بأسى «أنتِ أيضًا أيتها الإوزة الحلوة!». تحاول الكذب عليَّ، تقول «مجرد زُغطة!». وأنا فلاح. أعرف الفرق بين ضراط الإنسان، وزبط البط أو الإوز.

خرجتُ مسرعًا بينما تنادي الإوزة عليّ. مشيتُ لا أعرف إلى أين. أفكر «متى سيتحول البشر إلى حيوانات؟» «متى تتحول الحيوانات إلى بشر؟»، عليّ أن أجد من يساعدني. لا بُد أن الإوزة تقوم بتجارب علمية، بأوامر الحمار. عقاقير تبدل الجينات، سأخبر الحرَّاس بكل شيء. عندما اقتربت منهم شعرتُ بغبائي. كانوا يقفون في الكوخ الزجاجي، وبالخارج طوابير من الزوار. كل هؤلاء ضحايا. أردتُ أن أشير إليهم «اهربوا». لم أفعل. عليّ أن أتأكد أولًا من الحراس الذين يجلسون أمام كاميراتهم. راقبتهم. لا ذيل لأحدهم. دلفت إليهم. قابلني حارسٌ وقال «مالك؟ لا تبدو بخير!»، بالطبع لست بخير. أيها الغبي. أريد أن أتقيأ. لم أقل شيئًا. قال «انتظر، سأتبول وأعود إليك!»، لم يذهب إلى المرحاض، ومشى أمام شجرة وسقاها. بهذا الفعل اطمأن قلبي. قلت «هو إنسان كامل». لكن الرجل سعل أمامي فرأيت لسان أفعى. نظرتُ إلى الشارع بالخارج، كان يمكنني الهرب بعيدًا، ولم أفعل. لم أحذر الناس. لن يصدقني أحدٌ على أيّ حال. شردت في نهى. قالت «لم تحبّ ساقي؟»، وساقها كعود قصب، يابس. لا أعرف لماذا أحبها. تغويني رغم هذا، ويغويني اسمها. لا أحبّ اللغة، وأدوات النهي. يضبطني مدرس اللغة وأنا أتحسس صدرها، يطردني إلى الخارج. «لا تعطوا الحيوانات سجائر». اللافتة غاوية، مثل نهى. أنا وحيد جدًّا في هذا العالم. أرى الإوزة تهرول إليّ، بمعطفها الأبيض، وفي يدها حقنة لها نصل رفيع. أعرف ما ستقول. «أنتَ مريض. فلاحٌ، لا تفهم ما المدينة». أعدو لأهرب منها، ومن الحراس. أجد كوخًا صغيرًا، أختبئ بالداخل. تتأوه أسفلي فتاة. أفزع لمّا أراها. تضع إصبعها على شفتي. تهمس «هس!». فأهُس كما تأمرني. لمّا تبتعد الإوزة والحراس عن الكوخ، تعريني من قميصي. تتأكد من جسدي ثم تقبّلني. أترك لها نفسي حتى نلهث. أسألها من تكون، فتقول «العالم سيء جدًّا. نحن وحيدان!». أعرف أن العالم سيء، لكنها لا تجيب عن سؤالي. تنظر إليّ قليلًا ثم تقول «ليس عليك أن تكون وحيدًا!». تفزعني كلماتها. أقول لها «أنتِ وراء ما يحدث!». تنظر إليّ بدهشةٍ للحظة قصيرة، قبل أن أشج رأسها. تسيل الدماء على جسدها الأبيض اللين. أتأمل جسدها فلا أرى لها ذيلًا أو قشورًا، بل جناحين. تلفظ الفتاة روحها فأعلم أنها ملاك، لا ملائكة في هذا العالم. لا بُد أنها طائر منسي. عقلي ليس دفترًا. أشك في حقيقتها. ألمسها. إنها إنسية. تلوث الدماء يدي، أبكي. ألقي نظرة من خرم الباب، فأرى جميع الزوار قد تحولوا إلى حيوانات ترتدي ملابس أنيقة، ويحملون في

أيديهم بلالين لها وجوه بشر. الحمار يمشي هناك، والإوزة البيضاء، والأفاعي. أنظر إلى جثمان الفتاة قبل أن أخطو فوقها آسفًا. أخرج من الكوخِ وأمشي أمامهم عاريًا. أرفع يدي للأعلى. لا يعترض طريقي أحدٌ. يشيرون إليّ ببهجة. قرود صغيرة تقفز سعيدةً لمّا تراني، غزال يصورني بكاميرا. أصل إلى قفص مفتوح. أدلف. أُغلق الباب خلفي، وأُلقي بالمفتاح إليهم. أنظر إليهم طويلًا من وراء القضبان. الآن عاد كل شيء إلى ما كان، الآن أطمئن.

مدينة البط

أبواق سيارات الشرطة تعوي، وأضواؤها الزرقاء والحمراء تطارد الظلال على الجدران. رياح تصفع وجوه الناس بالجرائد والمنشورات، وأنا أقف آمنًا وراء البار، أراقب كل شيء، من نافذة مشبَّرة، وأصب للزبائن كؤوس النبيذ والبيرة. المصابيح أعلى السقف صفراء ولها طنين مزعج، لا يسمعها أحدٌ سواي. أسمع أيضًا أصواتًا تعلو من الغرفة المغلقة، أحاول تجاهلها فلا أقدر. أُمسك رأسي، وأضع إصبعيّ في أذني، أدق بهما على الطبلة. دوم.. دم. أدق على البار بكأس فارغ، وامرأة تتقدم إليّ وهي تدق على البلاط بكعبها العالي. تتوقف ثرثرات السَّكارَى وينظرون إليها. يتركون مقاعدهم ويهبطون إلى الأرض. يزحفون كما الدود. يتلوّون، وهي تتابع سيرها. أجساد تتكوَّم فوق بعضها، وأيادٍ تتضرَّع، تستغيث، وأنا أدق بالكأس بانتظام. أُلقي بالكأس لأعلى فيدور مرتين في الهواء ويسقط في يدي. تُلقي عليَّ نظرة غِواية، وتبتسم. يُخيَّل إليّ أنها ابتسمت قبل أن تدلف إلى الغرفة المغلقة، ينفتح الباب فأرى البانيو الأبيض وأشم رائحة الدهون. لمّا ينغلق الباب يعود كل شيء طبيعيًا.

سنوات مرت عليّ في هذا البار، لا أعمل هنا سوى يوم العطلة ، وعكس بقية الناس لا أستطيع أن أستمتع بهذا اليوم المقدس. باقي أيام الأسبوع مُخصَّصة للعمل، سيارات الشرطة لا تترك فرصةً للعاطلين. ذات مرةٍ أوقفني ضابطٌ وسألني «إلى أين تذهب؟» ولمّا حاولت أن أشرح طبيعة عملي، لم يفهم. قال «أنت تعمل في يوم العطلة، وتعطل باقي الأيام، وهذه محاولة لقلب النظام». وكان كريمًا للغاية عندما تركني أعود إلى البيت.

سنوات مرت عليّ في هذا البار، لم أعرف ما بداخل الغرفة المغلقة. أقرأ (ممنوع الدخول للعاملين أو للزبائن). فكرت مرةً بالدخول عُنوة، بعد رحيل الزبائن. نظفت الأرائك والمقاعد والزجاج من بقايا الدخان، وقفت أمام الباب طويلًا وقبل أن أمد يدي سمعت دقات كعب امرأة. نظرت إليها فوجدتها امرأتي، قلت بصوت مبحوح «البار مغلق». لكنها لم تهتم بكلماتي. دقات كعبها لا تزال تسكن رأسي، ونظرتها الأخيرة قبل أن تغلق الباب خلفها. لمّا عُدت إلى البيت وجدتها لا تزال هناك، تقول لي بغنج «لا بُد أن نخرج، البيت مثل السجن، وعلينا أن نعطل في يوم ما!». أصرخ في أذنيها «عُطلتنا هي يوم العمل». تقول بفزع «عليك أن تعطل. عليك أن تفعل ذلك». أسألها «ماذا رأيتِ في الغرفة المغلقة؟». تسألني «أي غرفة؟». أقول لها «رأيتكِ، لا تحاولي الكذب!». تكذب. تقول «لم أخرج من المنزل، ستفقد عقلك، عليك أن تعطل!». أتركها وأنزل إلى الشارع. أرى صفًّا من البط الأبيض يحاول عبور الشارع، أمسك واحدة وأعود بها إلى المنزل. نُعِدُّها على نار هادئة ونأكلها في انتظار يوم جديد، ربما يأتي غدًا أو بعد غد.

ذات يوم.. بقع الدم ملأت الشوارع والجدران، بسبب القرود التي هاجت دون سبب واضح. تسلَّقت أعمدة الإنارة والبنايات. جيوش من البط ملأت الشوارع. نختبئ من القرود، لكننا –بالتأكيد- قمنا باصطياد البط، على الصغار أن يأكلوا. أبواق الشرطة المُعلَّقة على المآذن، وأبراج الكنائس، ظلت تصرخ فينا بمساعدتهم، لكننا لم نفعل. استطاعوا إعادة الحيوانات إلى حديقة الحيوان، وقاموا بتطهير الخائنين بالعمل.

في طريق عودتي إلى المنزل تصفعني الرياح والجرائد، تقف عيني على مانشيت ببنط عريض (العمل عبادة). أهمس «أنا عبدٌ». وأرفع ياقة معطفي فلا يظهر وجهي. ظِل يسير على الجدار وأضواء سيارة شرطة ترصدني، تُوقفني. يسألني الضابط عن بطاقة هويتي، أخرجها فيقرأ فيها «بار مان». يسألني عن ثمن المشروب السرّي، فأسأل «أي مشروب؟»، يرد عليّ بغمزة «في الغرفة المغلقة». أقول «لا أعرف». فيرد عليّ بغمزة أخرى «من قال لا أعرف فقد أفتى!». أعتذر عمَّا قلتُ، فيظهر الضابط كرمًا، كعادة رجال الشرطة، ويقول «سأتركك تعود إلى المنزل، لكنني سأزورك قريبًا».

لم يكذبْ الرجل. بعد أسبوع قام بزيارتي في البار. تقدم نحو الغرفة المغلقة فتوقف السكارَى عن الثرثرة، وراقبوا بأعين مُتَّسِعة ما سيحدث. سقطوا على الأرض ومشوا على أياديهم (مثل دود يتلوَّى) وراء حذاء الرجل. ألقى عليهم نظرة قبل أن يدلف إلى الغرفة، وعادوا بعدها إلى سكرهم. لم يخرج الرجل مرة أخرى. شعرت بالقلق الشديد وشممتُ رائحة الدهن، صببتُ كأسًا من الصنبور، كان مذاق الخمر لاذعًا بشدة.

كل الكؤوس يكون لها عادةً مذاق الصابون، أما كؤوس هذه الليلة فكان طعمها حامضًا، وكريهًا. هاجت الزبائن بشدة وبدؤوا يتشاجرون. حاولت السيطرة على الوضع فلم أستطع. قررت إغلاق البار، سبقني رجال الشرطة بالقيام بذلك. أغلقوا البار وبدأوا يحققون معي حول اختفاء زميلهم. حكيت لهم كل شيءٍ، لم أنس تفصيلة صغيرة. قلت «هذه الغرفة المغلقة هي السبب». ارتابوا فيّ، لكنني تابعت الشرح «رائحة الدهن والجلد، وعطر المرء يظل موجودًا في الكأس!». لم يصدقني أحد. في المحكمة أثبت المحامي أنني مريض بخلل في كيمياء المخ، قضيت بعض الوقت في مصحَّة عقلية، وخرجت عطلانًا إلى الحياة. لمّا عدت إلى المنزل قابلتني امرأتي بابتسامة كبيرة، وقالت «هنيئًا لكَ، الآن يمكننا أن نتنزه. ليس عليكَ أن تعمل بعد اليوم، أنت حر».

وقفت أمام المرآة أرتدي بدلتي السوداء الأنيقة، وقامت امرأتي بلف ربطة العنق حول رقبتي، ودارت حول نفسها لتُريني فستانها القصير. قالت «ما رأيك؟». قبَّلتها في جيدها وشعرت أنها طفلة. أمسكتها من يدها وجرينا في الشوارع. طاردتنا الأضواء الزرقاء والحمراء ونحن نرقص. نرقص بجنون. نرقص دون أن نعرف إلى أين سنذهب غدًا.

أمام لافتة البار الحمراء وقفنا، قرأت امرأتي المكتوب عليها باللاتينية (بار السعادة، هنا تتحقق الأحلام). لم تستطع الانتظار، شدتني من يدي إلى الداخل. جلسنا على كرسيين من خشب. رأيت وجوه الناس عن قرب، صفراء، تهرب ملامحهم في الدخان. طلبت من البارمان كأسين من النبيذ. لم يتأخر علينا. سكرتُ، حتى دار

رأسي. سمعت الأصوات تعود لتسكن أذني. صرخت. لم تهدأ. وضعت إصبعي في أذني، ضغطت على الطبلة بالداخل. دوم. دم. دوم. دم.

نظرت امرأتي في عيني وقالت «لا تقاوم. استسلم». الأصوات تزداد قوة. شعرت برغبة في القيء، عدوت إلى دورة المياه، أفرغت ما في معدتي. مادة لزجة خضراء تغوص في البلاعات، تحملها المواسير. أسمع الأصوات تناديني، أتبعها. أخرج من دورة المياه فأجد امرأتي في مقعدها، لكنها لا تنظر إليّ، عيناها متسمرتان على الغرفة المغلقة. أقترب من الغرفة وأقف أمامها، تقف امرأتي خلفي وتضع يدها على كتفي. تهمس «تعال نذهب هناك». أسألها «إلى أين؟». تقول «إلى مدينة البط». تعود إلى طاولتنا لتضع كأسها، وتدق الأرض بكعبها العالي، والبارمان يدق البار

بكأس فارغة. تتوقف ثرثرات السّكارى، ينظرون إليها. يتركون مقاعدهم ويهبطون إلى الأرض. يزحفون خلفها كالمعتاد، وهي تتابع سيرها المُغوي. أجساد تتكوم فوق بعضها، وأيادٍ تضرعُ، تستغيث. تمسك امرأتي بيدي وتفتح الغرفة المغلقة فنقفز معًا. ينغلق الباب بصوت مُفزع، تقول «لا تفزع». وتتعرَّى قبل أن تنام في البانيو الأبيض. أرى جلدها يسيح تمامًا في الفقاعات الخضراء، وعظامها تظهر بوضوح. تشير إليّ «تعال، فأنا أشتهيك». أخلع بدلتي السوداء، وحذائي، وأترك ربطة العنق على جسدي العاري. أستلقي في البانيو، وأذوب.

دوم دوم دوم.. دم.

في المواسير الصدئة نجري، أنا وهي، دمها يمتزج بدمي ودمي يمتزج بدمها. تُمسك يدي وأمسك يدها، قبل أن نسيل معًا من الصنبور في خمر يملأ كأسين. ينتابني الفزع فأصرخ، ينتابها الفزع فتصرخ. نتوحَّد في صرخةٍ واحدةٍ، ونتوحَّد في عدمٍ واحدٍ. بطَّة بيضاء لا مثيل لجمالها، بطة لا وجود لها في واقع الأمر.

المانيكان

أنا فتاة مميزة. ولدتُ لأمٍّ بلاستيكية، عشت فترة من عمري في مخزنٍ مُظلم، لكنني استطعت الخروج إلى العالم أخيرًا. أبصر الدنيا من وراء الزجاج. فقدتْ الأرض ألوانها وزلزلت الجبال، ولم يبقَ غير ألوان فساتين هذا المحل. ألاحظ رغم اتساخ الزجاج فتاة مراهقة، مصنوعة من اللحم، تقف لساعات، ولا تمل الوقوف. تبدو الشمس أعلاها مثل حطب مبلول، وأسفل عينيها المرهقتين هباب، ربما من طول السهر. يمكنني رؤية خدوش حمراء في خديها ودم يسيل من ركبتيها، حاولت الحصول على وظيفة زرقاء.

لا أحد يستطيع معرفة الفرق بين البشر المصنوع من الطين أو اللحم أو القطن أو البلاستيك، لكننا نقول إن البشر بكل طينهم إخوة، ومن المعلوم أن الطين –هنا- مفردة مجازية، لستُ جاهلة، تعلمت في أفضل المدارس، وأقوى على الوقوف لساعات.

الفتاة مخلوقة من طين، أراها من وراء الزجاج، وأستطيع الشعور بذلك. لا أريد أن أكون عنصرية أو شيئًا كهذا، لكن رائحتها تصل إلى أنفي وتؤذيني، فروائح الطينيين مقززة. لا أعرف ماذا تريد من وقفتها هذه، ولا أظنها تملك مالًا لشراء فستان. أتابع عينيها المتسمرتين علينا –سكان هذه الفاترينة- فأخمن أنها تشتهي فستان الشقراء، التي تقف في الفاترينة بعهر، ترفع يدها كأنها ستصفع مؤخرتها لكنها أبدًا لا تفعل. رأسها فارغ من عقارب الساعة، لا يدور في داخله شيء، على هذه الحال تظل، فتجذب المراهقين والمراهقات إليها، في انتظار أن تنزل يدها وتعلو صفعتها. يظل الزبائن واقفين هكذا على أمل مرور الوقت، والوقت يمضي دون أن يشعروا.

كلنا –سكان هذه الفاترينة– سيئات السُّمعة، عاهرات. من الظلم أن تتصف الشقراء بهذه الصفة وحدها، فالسمراء أيضًا تفتح ساقيها للعابرين، والغجرية تلعق إصبعها بطريقة سيئة. الرجال لا يمرون أمام المحل دون أن يتوقفوا، والنساء تشتعل الغيرة في أعينهن. تدخل الواحدة إلى المحل وتشير إلى مانيكان ما، «أريد هذا!». تقصد «قوامها». فيأتي البائع بالفستان. ولمّا تعود إلى بيتها؛ تملأها الحسرة، لا تشتم دهونها أمام المرآة، لكنها تشتم البائع. تعود غدًا فيقول «لا للاسترجاع، ما دار بالأمس رحل إلى مكان ما، ولا نعرف إلى أين يمضي الزمن، أو أين يسكن». تغادر المحل بغيظ وترمقنا بحسد. تتمنى لو أنها مصنوعة من بلاستيك، كل نساء البلاستيك لا يعرقن، لا يسمن أبدًا، ولا يتحركن أبدًا. خالدات هكذا، في دوام كامل.

الفتاة وراء الزجاج لم تغادر مكانها، لم تزل ترمق الفستان الأحمر. لم تنظر إليّ مرة واحدة. لا أشعر بالغيرة. أنا مهذبة. أقف في الركن المنزوي بعيدًا عن الأعين، أمسك بنهديَّ الطريين بأدب، حتى لا يراهما المارة، وأعصرهما بتلذذ. لم أفكر في الثورة أبدًا، تحطيم الزجاج والعدو عارية في الشوارع، عندما قرأت هذا في قصة ما لعنت خيال الكاتب.

أنا هنا آمنة. بعيدًا عن أبناء الطين، واللحم، والقطن. لا يفزعني غير همسات الفتيات –سكان هذه الفاترينة- حول البائع. الشقراء تزعم أن البائع سيء، والغجرية تؤكد كلماتها بقولها «كل الرجال سيئون». أنا جديدة. لم أرَ شيئًا بعد. يدلف البائع إلى الفاترينة، يتحسس أجسادنا: النهود، البطون، السُّرر، الأرداف. يمر خلفي فأكتم أنفاسي، يتوقَّف. أهمس «ارحل». يحرك يده على ظهري ويلمسني، فأرتعش وأهتز. قطرة عرق تكاد تتسلل من جلدي، يهمس في أذني «يا لك من تمثال».

لست تمثالًا، أنا بشرية مثلك، مصنوعة من بلاستيك أيها الأحمق، وربما غدًا تعمل في فاترينة مثل هذه. يلمسني مرة أخرى. أذوب. يذوب جلدي. عليّ أن أصمد. أنا فتاة مميزة، أنا من طينة أفضل. أخطأت القول. ربما هذه حقيقتي. ما دمت أعرق.
يمد يده ويداعبني، أعض شفتي. يراني فيشعر بالانتصار. حشد كبير من وراء الزجاج يراقبني الآن، تتسع الأعين، والبائع يلهو بي وأنا أقاوم بضعف وانكسار. لا أقدر. قطرة عرق تخونني وتسيل على عنقي فيغمز البائع للجمهور الذي يصفق في انتشاء.
تقول أساطير الشارع الخلفية أننا قادرون على الارتقاء من الطين إلى اللحم، ومن اللحم إلى البلاستيك، وأفضل أجناس البشر هم المصنوعون من قطن. لم أصدق هذه الأساطير. يقترب البائع من أذني ويهمس «لماذا ترفضين حقيقتك، اهبطي إلى طينتكِ». أحرك أصابع يدي وأضمها عندما تلفح أنفاس البائع رقبتي، فيشير للحشد معلنًا انتصاره، ثم ينحني للجمهور: للنساء والفتيات والأطفال والمراهقين والرجال. أسقط الآن أمام أعينهم، أصير مثلهم. أقع على ركبتي، فيربت البائع على ظهري. تسيل دموعي ويصيح الجمهور بنشوة، أحرك شفتي ولساني، أتحدث أخيرًا «افعلها أرجوك». فيعلو التصفيق بقوة وأمام هذه الأعين أرتفع وأهبط، أرتفع وأهبط.
إنها ليلتي الأخيرة هنا.. تسع ساعات وأعود مشردة إلى الشوارع. ربما أبحث عن أمي، عرقة، في مكان ما. تتسول اللقمة من العابرين، وربما أعنِّفها لأنها كذبت عليّ. لا أمل في الوصول إلى الكمال. أسمع همسات المانيكان «فتاة من طين». لا أفهم السُّبَّة، البائع من طين أيضًا، ويملك رقاب الفتيات. الطوق يخنقني، عليَّ أن أخرج.
الساعة تعدو، والفتاة وراء الزجاج لا تزال واقفة بثبات. عيناها باردتان. لا أستطيع الوقوف صامدة لتسع ساعات. لا يبدو عليها أنها مخلوقة من طين، وربما كانت تلك الرائحة التي شممتها تفوح مني. تدق الساعة وينتهي العمل، تتحرك جميع الفتيات المخلوقات من البلاستيك، يفردن أجسادهن فأسمع طقطقة العظم، وتبدأ
كل واحدة بوداع الأخرى، «باي» «أراكِ غدًا». وأنا صامتة خرساء. وحيدة مشردة. أذهب إلى البائع لآخذ مالي، تدلف الفتاة أخيرًا، تقف في الركن فيفحص جسدها العاري، يقول لها «صناعة جيدة»، تبدو خبيرة، مانيكان عذراء. تتقزز من رائحتي، لكنها لا تتقزز من رائحة البائع، المال في يدي الآن، مال قليل، وفي يده مال كثير. يقول «هذا آخر يوم لكِ». فأرد بانكسار «أعلم». أتعرق كثيرًا الآن وأخرج إلى الشارع. أمشي في الشوارع الخلفية، أنفق نقودي في أيام، على الطعام من صناديق القمامة. فتوات هنا وهناك، يبيعون العيش العطن وبقايا الدجاج، وقطط مصنوعة من عظم تمشي في كل مكان.
أصير لحمًا على عظم، أنزوي عند جدار. أجلس على ركبتي وأبيع مذاق شفتي للعابرين، ولا أحصل على عمل، بضعة قروش فقط. أسمع شائعات تدور عن حرب قادمة بين البشر، على اختلاف مادتهم، عصابات لهم أعلام مختلفة. تأتي إليّ. تسألني عن نوعي. في كل مرة أغير قولي، مرة من طين، ومرة من لحم، وفي كل مرة أنجو ولا يخونني حظي، لكن إلى متى؟ عليّ الهرب، عليَّ الاختباء في مكان ما. حملت الرياح في وجهي إعلان وظيفة، مطلوب فتاة من أي نوع للعمل في مصنع لأكياس البلاستيك. أرعبتني الفكرة وتذكرت حواديت أمي، هناك يقتلوننا، لا نعود بشرًا، لكنني هدأت ومشيت بخطى واثقة مطمئنة، فأنا مصنوعة من طين، بعد يومين، طرت – مع الريح- أسفل أقدام المارة، في الشوارع الخلفية، وأمسكني طفل ونفخ في.

غراب

اليوم سمعتُ أصوات الموتى. ارتفع دخان المعَسّل إلى القمرِ، رماديًّا وخفيفًا، مثل أرواح تعرج إلى مقابرها. سعل الحارس، فتمزَّقت دوائر الدخان. لمّا ثقلَ رأسي قررت العودة إلى هناك، مستندًا إلى جدار. في الثلاجة كل شيءٍ ساكن. ضوء أعلى الممر يقتلع عيني. لا أريد أن أزعج أحدًا، فأمشي بخفة حافيًا. قائمة لا بُد من شرائها تتردد في أذني. امرأتي تقول «بيض أحمر». لا أعرف الفرق بين البيض الأبيض والأحمر. الموتى يقولون «الأبيض لزج». بركة من البياض يغرق فيها البعض، وآخرون قد يجدون فردوسًا أو نارًا. ما تعتقده تجده هناك. هذه أشياء لم أكن أعرفها، غير أنني سمعت أصوات الموتى. ناداني أحدهم باسمي من الدرج المغلق. كنت نائمًا على السرير الحديدي، لم أُرِد النهوض. قال لي «سآتي لكَ بثمن البيض». وجدتُ آخر يصرخ «كنت طباخًا، سأدلُّك على الفرق بين الشبت والبقدونس». بينما علا صوت امرأة من درج بعيد «لا يجعل البيض امرأةً سعيدة، تعال إليّ، أدلك إلى أذنيها أو نهديها». وصاحت امرأة من درج بعيد «لا نهدَ لي، أكله الموت».

أنا خازن الموتى، أفتح الأدراج كلها. أزعَق بهم «بالدور يا بقر!». يصمت الموتى بينما أتأمل أجسادهم، باردة وزرقاء أو رمادية، وأعينهم تضيع في سبات عميق. الإنسان عجينة تراب، تختمر مع الشمس وتَفسد. ينتظر الموتى هنا حتى يتعرف عليهم أحد من أهلهم، أو يكتشف الطبيب الشرعي سر الوفاة. أحاول فتح عيني، أقول للميت الأول «ماذا تريد؟». فيطلب قطعة ثلج ويقول «جمرة صغيرة يعذبني بها ملاك كل مساء». أضع قطعة الثلج مكانها فيهدأ ويخلد في النوم. يطلب ميت آخر قطعة سكر؛ يقول «أنا في الفردوس، وهي في الجحيم، خطيئتنا واحدة، لكن عدل الله غريب». لا أنكر ذلك. أضع قطعة السكر موضع قُبلة يشتهيها. فيتابع متألمًا «ريقها وماء الحميم سواء». يناديني ميت ثالث قائلًا «البيض الأحمر أفضل، صدقني، لا أسوأ من بياض العدم».

على هذه الحال ظللت أستمع إلى حكايات الموتى. في البداية فعلت هذا بدافع الخير، أعطي لهم ما يريدون. مع الأيام عرفتُ أنني كنت غبيًّا. بدأت أقايض: تريد قطعة سكر، هل تعرف ثمن السكر اليوم؟ البيض؟ الحليب؟ امرأتي لها نهدان كبيران، وأنا طفل عجوز. عمري خمسون عامًا. أريد أن أرضع. نادتني فتاة وقالت «عمري ثمانية عشر، ولي نهدان لم يمسهما أحد». سألتها عما تريد فقالت «اتفاق صغير» اتفاق سيغير كل شيءٍ. اقتربت منها وعرفت أن الموتى يتنصتون، سمعت طقطقة آذانهم ودقات قلوبهم اللاهثة. بصمتُ بدمٍ على الورقة البيضاء. صاح ميتٌ «البياض سيء!»، سمعت صوت الحارس خلفي مباشرة، دخل إلى الغرفة ورآني أمام درج مفتوح. رمقني بشكٍّ. الميت ظل يصيح «البيض الأبيض سيء!»، دق قلبي، هل يرى الحارس ما أراه؟ ظل صامتًا لمدة حتى قال «الموتى لا يتحدثون! دعهم!».

جلسنا جميعًا أمام حجر المعسل، شد الحارس نفسًا وهمس للطبيب بكلمات. أمسكت الجُوزَة وشددت نفسًا عميقًا. سكن الدخان صدري. رأيت الموتى يهربون. صحتُ «توقفوا!». في أقدامهم كرة حديدية، ويرتدون ملابس رياضية. يصعدون الجدار. مقامع من حديد تصطادهم من رقابهم. ينظر صديقاي إلى حيث أشير، فلا يرون أحدًا. يقولون «الموتى هادئون. فاهدأ!». أصيح «الملائكة تمنعهم من العودة للحياة!». لا أحد يصدقني. يرفض الطبيب كلماتي قائلًا «هذا كلام

غير علمي!»، يشد الحارس نفسًا من الجوزة ويقول «مالنا والعلم، هذا كلام مساطيل!». أقول لهما غاضبًا «تعاليا»، فيتبعان خطاي إلى غرفة الموتى. أفتح لهما الأدراج وأقول «اسمعا». يطول السكون لدقيقتين فأزعق في الموتى «تحدثوا يا بقر! تحدثوا يا عِرة الموتى»، فلا يتحدثون.
على انفرادٍ تحدثوا..
تقول الفتاة الاتفاق «لا تثق برجلٍ حيّ أبدًا». أقول لها «لكنكِ تثقين بي!». فيصيح رجلٌ من الدرج المغلق «إننا نتحدث إلى رجلٍ ميت يا هذا!». أنظر إلى عيني الفتاة المغلقتين فتهمس بصوتها الحزين «كلنا موتى! لا تحزن». لا أهتم. أشرد في نهديها الطريين، وفقًا لبنود العقد سيصيران ملكًا لي، أمصهما متى أشاء، وألعقهما. تقول الفتاة «عليكَ أن تُعيدني إلى الحياة أولًا، متى ستفعل هذا؟». أقول لها «الآن!». أمسك قلمًا وأكتب في تقريري «الفتاة في الدرج السابع، جميلة، ولها نهدان عظيمان، لا أعتقد أنها ميتة، رأيتها تنهض وتمشي. فزعت فزعًا شديدًا لمّا رأت الموتى من حولها، لا بُد أنها حيّة، جاءت إلى هنا على سبيل الخطأ، خطأ روتيني، الروتين مليء بالثغرات، وهذا أمر وارد، ممكن. علينا أن نتقبل وجود امرأة حية في ثلاجة الموتى، هل نتركها هنا للأبد؟ أم نعيدها إلى الحياة؟».
قرأ الطبيب تقريري في اليوم التالي، قال «الموتى لا يمشون يا صديقي». قلت بهدوء «يا دكتور. أنت رجل مؤمن، والبعث حق». مشى معي إلى ثلاجة الموتى. وقلت بالداخل «لا أعتقد أن نظامنا رائع، أعتقد أننا روتينيون، وما دمنا كذلك، فمن الوارد أن نخطئ. لكن عليك ألا تخبر الحارس بهذا، الموتى لا يحبون هذا الرجل». هز الطبيب رأسه موافقًا، وقال «على سبيل التجربة العلمية، فأنا لا أثق في سواها». لمّا رأى الطبيب الموتى يرقصون بالداخل قال «أعتذر، كنتَ مُحِقًّا»، وبدأ يراقب الفتاة التي اشترت روحها، تمسك بالسكين في يدها وتقتلع نهديها. يميل الطبيب إليّ ويقول «أريد نهدًا». فأوافق بهزة من رأسي، بينما يظل يراقب الموتى وهم يتسلقون، ويزحفون على الجدار.
كتب الطبيب بعدها في التقرير «الفتاة في الدرج السابع، جميلة، ولها نهدان عظيمان، لا أعتقد أنها ميتة، قلبها يدق، ويرقص، لا بُد أنها تعاني من غيبوبة، أخطأ طبيبها بوضعها هنا. علينا أن نعيد الأمور لنصابها. إذا ما عادت تلك الفتاة لحياتها ربما تتعلم درسًا من الموت، ربما تعرف روحها».
بعدما كتب ذلك، أمسكَ الطبيب نهدًا، وأمسكتُ نهدًا، وبدأنا نلعقهما. رحلت الفتاة إلى مستشفى مجاور. وضع لها الأطباء أجهزة كثيرة، أظهرت دقات قلبها. شعر الموتى بالغيرة. قال أحدهم «ما فائدة نهد مقطوع؟». بينما عرضت أخرى علينا العمل في مزرعتها للدجاج، شرط أن نبعثها.
تعالت صرخاتهم بشدة. في اللحظة التي دخل علينا الحارس واكتشف أمرنا.
خيال الحارس هش. نجلسُ أمام حجر المعسل، يرتفع الدخان إلى القمر، والأرواح، ولا يراها. يقول لنا «الروتين آمن، آمنوا!». أقول «ماذا عن غنائم التمرد؟ نستطيع أن نربح بيضًا كثيرًا وسكرًا، ونهودًا زهيدة الثمن». لا يوافقنا الحارسُ. كان علينا أن نتمرد، أنا والطبيب، ونقتل ذا الخيال الهش. كتب في تقريره «الطبيب والخازن يعانيان من الهلاوس، وربما كان الحشيش الرديء وراء ذلك! رأسي يحتمل الغربان، شعري لا يزال أسود، ريش يتدلى مع خصلات شعري، وأنفي مكسور يليق بحارس مفزع، أنتظر عروسًا، تأتي إليّ في هيئة غراب، أتحمل ثرثرتها في مقابل لعق نهديها». الحارس الأحمق، غراب ابن غراب، يريد أن يتزوج، ويخشى المغامرة. وجدنا هذا التقرير مُلقى على الأرض جواره، بعدما نام من السطل. تسللنا-أنا والطبيب-

إلى الثلاجة، ابتسمت فتاة الدرج التاسع إلينا، عرفت أنها تفكر في الهروب، سأقوم بشرائها أو تهديدها، إذا كانت في الفردوس، سأهددها بإعادتها إلى الحياة، لعل خطاياها تقودها إلى مصير آخر، وإذا كانت في الجحيم سأغريها بالهرب، وإذا كانت تسكن في العدمِ، بناءً على اعتقادها، سأهددها بتركها هناك. البعض لا يحتاج لتهديد، على سبيل المثال الرجل المُسن في الدرج العاشر يريد أن يهرب من الفردوس، وعندما سألت عن السبب قال «حبًّا في المغامرة».

خيال الحارس هش. يراقبنا في كل مكان. ظل على الحائط، وظلان يهربان بخطوات سريعة إلى الحائط الآخر. يعطلنا عن تنفيذ خطتنا. أقول للطبيب «علينا أن نقتل الحارس!». في الموت لن يجد شيئًا هناك، سيرجوني كثيرًا «سأهبك بندقيتي، أعدني!»، لكنني لن أعيده أبدًا. يظل محملقًا في السقف. تمرُّ الأيام علينا. نجلس أنا والطبيب أمام حجر المعسل. يعرج الدخان إلى القمر والأرواح والأشباح، ولا أحد يراها سوانا. هبةٌ لا يملكها غيرنا، لكن الطبيب لا يبدو سعيدًا. يقول «خمسة عشر فتاة أعدناها إلى الحياة، ولم أحصل سوى على نهدين!». تلمع شرارة النار في عيني. يقول «النهود كثيرة، والبيض قليل. ليس علينا أن نتشاجر!». أهز رأسي موافقًا. بذكر البيض أتذكر زوجتي، فأعود إليها. لا أملك بيضًا، ولا أظنها تهتم بهذا. كانت تحتضر. ملاك الموت يأمرها بالمجيء. تمسك يدي، أخونها. أتركها تتدلى على جثمانها. تقول لي «انظر! دجاج كثير!»، فأفهم أنها في الفردوس.

بعد أيام زارنا موتى جدد، من بينهم أول فتاة قمت بتهريبها. قالت بغضب «ما فائدة امرأة بلا نهدين، لم يحبني أحدٌ، شربت زجاجة سم كاملة!». استقبلها ملاك أسود وقادها إلى الجحيم، جلست على قضيب من نار. طلبت أن أنقذها مرةً أخرى، فلم أهتم. هي فقيرة، لا تملك نهدًا. بدأت تحذِّر الموتى مني. تقول «البيض الأحمر أفضل!». وبدأوا يُنصتون لها ويستمتعون بموتهم. زعقت فيهم «أيها الكفرة، البعث حق!». لم يهتم أحد بالعودة. ماذا أفعل؟ هددتهم، مرة بعد مرة، لم يفزعوا. رفعت قلمي عاليًا أمام أعينهم «سأعيدكم إلى الحياة، ما دام الموت جميلًا اشتروا ذمتي لتظلوا في مقابركم!». زعقت كثيرًا، لم يتحرك أحد. رأيت ظلًّا أسود خلفي مُريبًا. التفتُّ فقابلني الطبيب بحديدة على الرأس. كتبَ الطبيب: «شرخ في جمجمة الرأس، أدى إلى نزيف حاد، هذا رجل ميت!». ضحكتُ كثيرًا. لن أموت بهذه الطريقة. سألني ملاك أسود «لماذا تضحك؟»

في الدرج رقم مئة، أنام. يقول لي الطبيب «الموتى لا يصدقون بالبعث، لا أحد يؤمن، لا أحد سواك. إذا ما أردنا لتجارتنا أن تستمر، علينا أن نريهم المعجزة». أهدأُ قليلًا، وأقول «البعث حق يا صديقي. أعدني لنشرب حجر المعسل معًا». يزعق الطبيب في الموتى «أيها الأغبياء! اسمعوا! هذا الرجل سيُبعَث، لأن الحياة حلوة!». أزعق بدوري «أريد أن أرقص. هيَّا.. هيَّا!». أنهض وحدي وأرقص. تتشجَّع فتاة لم يبقَ من وجهها المحترق شيء. تُمسك بيدي وندور. يراقب الموتى رقصتنا باشتهاء. تصرخ فتاة الدرج السابع. «لا تؤمنوا بالبعث!». يكتب الطبيب في تقريره: «خازن ثلاجة الموتى، رجلٌ طيب. لا يستحق الموت بهذه الطريقة. هو يحبّ الرقصَ، والذين يحبون الرقص يستحقون الحياة. ربما لم يمت». أبتسمُ. أنتظر القيامة، البعث. يمر عليّ وقتٌ. ينظر لي ملاكٌ أسود متعجبًا. يسألني «لماذا تبتسم؟ ما تعتقده تجده». وأجد نفسي في بيضة بيضاء كبيرة. أصرخ «البيض الأبيض سيء!». أصرخ بصوت أعلى فلا يسمعني أحد.

سمكة صغيرة حمراء

كنتُ عاطلًا.. لا أملك المال لدفن امرأتي، لذا تركتها على أريكتها الزرقاء المهترئة تشاهد التلفاز وأمامها طبق من الفيشار وبقايا بيتزا، وفوق رأسها أطنان من الذباب، بينما جلست في الركن أقرأ الجريدة الحكومية.. عادةً لا يجد مُسِنٌّ مثلي فرصة للعمل؛ لذا لمّا قابلني هذا الإعلان انتصب ظهري.. قرأت المكتوب بعناية، مرةً بعد مرة. لم تخدعني عيناي، مطلوب موظف للعمل في مكتب البعث، شرط أن يبلغ الستين من العمر.. نهضت، طقطقت عظام ظهري، ارتديت بدلتي الوحيدة.. رششت نفسي بالعطر.. استندتُ على عكازي ونزلت الدرج. لمّا خرجت من البناية فوجئت بأعداد المُسنين الذين يمشون على الرصيف، مستندين على عكازاتهم وممسكين بالجريدة ذاتها. همست لنفسي «لا بُد أنهم يطمعون في وظيفتي». أسرعت بخُطاي في لؤم، فنظروا إليَّ بارتياب. قرأوا ما في صدري فأسرعوا.. تسابقنا.. سبقتهم.. وصلنا إلى مفترق الطريق فقابلنا أعدادًا كبيرة من المُسِنّين. وقفت مع فريقي لالتقاط الأنفاس، ونحن ننظر إلى أعين بعضنا، وعندما استشعرنا الغدر تابعنا العَدو.

كنتُ أول الواصلين.

وقفت أمام بناية لها شكل سمكة حمراء، وفوقها لافتة مكتوب عليها (البعث). دلفت إلى الداخل. قابلني شابٌّ مفتول العضلات. سألني بغلظة: «ماذا تريد؟»، قلت: «جئت من أجل الإعلان»، وأخرجت الجريدة من تحت إبطي فوقع ما فيها من أقراص طعمية ناشفة. لم يبالِ بها ولم يعلق بكلمة. دهسها بحذائه الأسود. شعرت بالضآلة لولا أن قال: «أهلًا وسهلًا»، وقادني إلى غرفة العملاء. لست عميلًا. أردت أن أخبره بهذا، لم يترك لي فرصة. قابلني رجل ذو ربطة عنق حمراء، وقال: «أهلًا. أهلًا». صافحني بقوة وجلس على المقعد، لم أجد مقعدًا فجلست على الأرض، نظرت إلى اللوحة المُعلَّقة وراءه (سمكة صغيرة حمراء تسبح في جسد بيشري). لم أفهم المغزى منها ولم أسأل، أردت توضيح سوء التفاهم. قلت: «لستُ عميلًا»، فقال: «أعرف، جئت من أجل الوظيفة». قلت: «نعم»، فابتسم وقال: «لا أعتقد أنك تصلح لها، رغم أنك تبلغ العمر المناسب، ورغم هذا لا أخفي عليك، أحسدُ هذه السمكة الحمراء التي تحملها بداخلك، عادةً يموتُ الناس في عُمرك، لكنك، وانظر إلى تشبُّثك بالحياة، تحلم باغتنام وظيفة». قلت: «أريد دفن امرأتي، أعتقد أنها ملت من مشاهدة التلفاز، هذا كل ما في الأمر». قال: «رائع. لم أرَ رجلًا يمتلك هذا الوفاء منذ زمن». قلت: «لستُ وفيًّا، أريد فقط التخلص من جثمانها النتن». قال: «رائع، أنت صادق، لكنني أعتقد أنها صفة سيئة، الصدق صفة المثاليين، وأعتقد أنهم منعزلون عن الواقع، ربما تختلف معي لكنني لا أهتم برأيك، على أيّ حال سنقوم بالتحاليل وإذا كنتَ مناسبًا لهذه الوظيفة ستفوز بها». تحاليل؟! لمّا ظهر عليَّ القلق أردف مطمئنًا: «لا تقلق.. روتين.. روتين». ولم يكن الأمر روتينيًّا كما قال؛ وضعوني في غرفة بيضاء، على فراش أبيض. على جسدي أسلاك وأمامي شاشات تظهر خطوط قلبي، قاموا بأخذ أشعة وعينات من دمي، وعينة من البول. كنت أرغب في التبول لذا ملأت الكوب الأبيض عن آخره، تفوح من البول رائحة كريهة، لكنها لا تختلف عن رائحة عرقي أو التبغ الرديء الذي يفوح من جلدي، أما المكان فكان معطرًا، بلا أثر لرائحة الأدوية التي أعرفها. لمّا انتهوا من روتينهم قال المدير بحزن: «لا تصلح للوظيفة».

وقالت الممرضة التي تكشف عن نهديها: «التقارير سيئة، صحتك في خطر». أما الطبيب فقال ببرود: «أنت على وشك الموت». أشعلت سيجارة وسألت: «متى أموت؟». فقال المدير بعصبية: «لا أعرف أيها المُسِنّ، غدًا، وربما الآن، والآن ماذا ستفعل؟». قلت: «لا أعرف». نفثت الدخان في شرود. قال المدير: «جيد. فكر في حل». وغادر الغرفة. طارده الطبيب مبرطمًا بكلمات ما، أما الممرضة فقد أغلقت الباب خلفها وهي تغمز لي.

شعرت بلغز في موتي، مؤامرة. أردتُ أن أفهم. نظرت إلى المنضدة المجاورة فوجدت أعلاها وعاءً زجاجيًّا مملوءًا بالمياه، وفيه سمكة صغيرة حمراء تسبح باطمئنان.. أطفأت سيجارتي في الوعاء فانتفضت السمكة وبدا عليها الذُّعر.. علا جرس إنذار من مكان ما، وصارت جدران الغرفة حمراء. اقتحمت الممرضة غرفتي وصاحت: «ماذا فعلت؟». الماء صار رماديًّا، نظرت إلى السمكة فوجدتها تلفظ فقاعات صغيرة.. عرفت أنها تُحتَضَر.. صحتُ في الممرضة: «أنا أيضًا أموت». لماذا لا يبالي أحدٌ بهذا الأمر. همستْ: «لكنها روح». لم أفهم مقصدها، ورأيتها تحمل السمكة الصغيرة في كفها بحرص شديد وتغادر الغرفة. عادت الإضاءة إلى طبيعتها، وعاد المدير إلى غرفتي وقال: «أنا مستاء منك، لماذا فعلت ذلك؟». قلت: «لا أهتم بسمكتك الغبية. أريد العودة إلى البيت». قال: «لماذا؟ يمكنك أن تموت هنا إن أردت». لكنني لم أُرِد الموت، ولم أكن متأكدًا تمامًا من صدقهم. قال: «إذا لم تُرِد الموت يمكننا أن نبيع لك جسدًا جديدًا، سنقوم باصطياد روحك. لكن هل تملك مالًا؟». لم أفهم ما قال. قررت المغادرة، بحثت عن عكازي فقال: «عكازك في مكتبي، يمكننا أن نشرب القهوة معًا، وإذا لم يرُق لك العرض فارحل. ها؟ ما رأيك؟». مشينا حتى المكتب وهناك وجدت مقعدًا في انتظاري، جلس المدير وانتظر قليلًا ثم قال: «ما الموت أيها الرجل الطيب؟»، لا أعرف ما الموت، لستُ طبيبًا، جئت إلى هنا من أجل الفوز بالوظيفة، ولستُ مهتمًّا بالألغاز. لم أرد، تابع قائلًا: «الموت فأر يسرق الأرواح، وبهذا التوصيف يصبح الموت لصًّا، يقوم بوظيفة غير شريفة، لذا قررنا افتتاح مكتبنا هذا، مكتب البعث، حتى نقنن الموت. الدولة تمتلك بُعد نظر والسيد رئيس دولتنا يرعى جهودنا، ويرى أن صناعة الأرواح هي المستقبل. هل تفهم؟». لم أُرِد أن أبدو غبيًّا أو عدوًّا للدولة، هززت رأسي فتابع قائلًا: «لذا فوظيفة مكتبنا هي اصطياد الزبائن، الآن تدرك كذبة إعلان الوظيفة المنشور في الجريدة الحكومية، لكنها كذبة بيضاء، لم نُرِد بها شرًّا». شعرت بالقلق.. قلت: «أنا لا أملك أي مال، أعتقد أنني سأرحل الآن. أعتذر منكم، وأعتذر للسيد رئيس دولتنا بكل تأكيد». قال المدير: «إذا رحلت الآن فاعلم أن رجالنا سيأتون إليك ويطرقون بابك الليلة؛ لذا من الأفضل لك الاستماع إلى العرض». لم أنتظر، أخذت عكازي بعصبية فاصطدمت ذراعي بفنجان القهوة ووقع، وتعثرت قدمي في المنضدة المجاورة فوقع الوعاء الزجاجي أيضًا، ورأيت السمكة الحمراء تهز ذيلها فوق السجادة التي تشرب بقايا الماء، أسرعت بخُطاي، والمدير يصرخ فيَّ: «أيها المُسِنّ الغبي. قتلت سمكتين، لن نصطاد روحك فقط، بل سنعذبها، سنعلقها إلى الأبد في برزخ. سيُبعَث الناس وتظل هنا، سننتقم منك، هل تسمعني؟».

قال هذه الكلمات الغبية وأنا أغادر المبنى هاربًا، عدت إلى البيت وأنا أتعرق، وجدت امرأتي تجلس باسترخاء أمام التلفاز، تشاهد خطابًا للسيد العظيم رئيس دولتنا.. جلست جوارها.. أكلت من طعامها وأنا أهش الذباب.. لم تتحدث معي، كانت شاردة في شاشة التلفاز، تهز رأسها موافقة مع

كل كلمة، ولمّا انتهى الخطاب سألتني عما فعلت، قلت: «لم أفز بالوظيفة.. نعم.. أعتقد أننا عالقان معًا. نعم يا حبيبتي. إلى الأبد، كما وعدتكِ تمامًا في بداية زواجنا لو تذكرين».
الشقوق تأكل جدران البيت والساعة تتحرك عقاربها في جنون. راودني شك. همستُ: «ماذا لو كان محقًّا؟». «ماذا لو كان هذا هو مشروع الدولة؟». «ماذا لو كان باستطاعتهم اصطياد الأرواح؟». نظرت إلى امرأتي وسألتها في توجُّس «ما الموت؟». لكنها لم ترد عليَّ. ظلَّت تراقب شاشة التلفاز التي امتلأت بنقاط سوداء وبيضاء، ولم يمر وقت حتى همستْ: «اهرب». نظرت إليها فوجدتها ساكنة تمامًا، مستسلمة لما أصابها. بحثت في قفصها الصدري، ولم أجد فيها غير الدود. «اهرب الآن». سمعت أصوات أقدام تصعد بنايتنا. اقتربت من الباب. «هذا هو البيت». تراجعتُ إلى الوراء مذعورًا وعدوتُ إلى الشرفة ومنها قفزت إلى الشارع، في اللحظة التي اقتحموا فيها البيت.
من حسن الحظ أني أقطن في الطابق الأرضي، مشيتُ مبتعدًا عن أعمدة الإنارة والمارة وسيارات الشرطة، لا أعرف إلى أين أذهب. دلفت إلى زقاق ضيق. وقفت ألتقط الأنفاس هناك. دخنت سيجارة واستمتعتْ قطةٌ ضالَّة بمراقبتي. مشت القطة أمامي فتبعتُها بشرود، تلفَّتَتْ حولها وهي تنظر بارتياب. أسرعت خُطاها فطاردتها، لا بُد أنها تسأل: «لماذا أطاردها؟»، وأسأل: «لماذا تطاردني الدولة؟»، «وأين أهرب من موظفي البعث؟». قررت الذهاب إلى مكتبهم، متخفيًا في الظلام، وهناك أدلف من الباب الخلفي وأدرك حقيقة الحياة والموت. لن يخمن أحدٌ أبدًا أين أكون.
وقفت أمام الباب، أُكرة نحاسية يحيط بها الظلام، ألفُّها إلى اليسار، يتكتك الباب. تك تك.. أدلف.. ألمس الجدران. باردة ولها ملمس معدني. لمَّا أضأت المصباح أدركت حقيقتها.. لم تكن جدرانًا. كانت أجسادًا آلية، العديد منها في كل مكان، لكن وجوهها كانت بشرية، بجلد مكرمش، أو جلد مشدود. سمعت صوتًا يعلو من وراء ظهري، كان المدير وجواره موظف مفتول العضلات يمسك بصنّارة. قال المدير: «أخيرًا». لم أفهم مقصده. سألت: «كيف عرفت بمخبئي؟». قال: «لا أحد يهرب من الموت، أو من القدر، إما أن تكون موظفًا أو عميلًا، ليس لديك خيار آخر، والآن هيَّا نبدأ؟». «نبدأ ماذا؟»، سألت. لم يرد. انقضَّ الموظف القوي عليَّ. كتّفني في مقعد خشبي. حاولت المقاومة، لم أستطع. استسلمت لما سيحدث. سألت: «تريد أن تبيع لي جسدًا جديدًا؟». لم يرد. رأيت طرف الصنارة يطير في الهواء، يدلف إلى فمي، ينزل إلى قفصي الصدري. أمامي أجهزة تنقل صور كل شيء. طرف الصنارة في بُحيرة دم، وفي البحيرة سمكة حمراء. قال المدير: «الروح، مجرد سمكة صغيرة!». وابتسم بعدها. عندما اصطادوا روحي لم أشعر بألم، شعرت فقط بهدوء وأحسستُ بدفء المياه، وراقبتُ من وراء الزجاج الحياة. رأيت الرجل المُسِنَّ البائس. لا يملك أي مال. جاء من أجل إعلان وظيفة كاذب. وكان الزمن كاذبًا، نقطة أو نقاط، لا خطوط، لا طرق. أرى الموتى سعداء دون بعث، لو تعرف الحكومة ذلك. لا أعمل هنا. أسبح فقط في المياه، وأرى ما كان، وما هو كائن، كل شيءٍ في يدي. لو أنني أملك جسدًا لغيرت العالم، لو أن هناك من يبتلعني الآن. لا أريد إنسانًا آليًّا، لا أريد وعاءً زجاجيًّا. تتحقق الأحلام في يوم ما، تمتد يد وتنتشلني من الوعاء، ونمشي سويةً فوق سجادة حمراء. أرى الأثاث الذهبي والأعلام في كل الزوايا، ينحني الرجل الذي يحملني أمام الجالس على المائدة، أُلقَى في طبق مع بعض الأرز، بطرف عيني أنظر وأعرف من يكون الجالس أمامي. أصرخ: «لا تأكلني»، «لا أريد جسدك، لا أريد فمك، لا أريد لعابك»، «لن أغير العالم! أبدًا لن أفعل». لا يرد عليَّ. لا يمسك بسكين أو

شوكة، يُمسكني بيده. يرفعني عاليًا من ذيلي ثم يلتهمني. يتجشأ ثم يقول: «الآن أعرف كل شيء!».

عبد المأمور

أقف أمام المرآة بظهر مفرود، واضعًا المنجل فوق كتفي الأيسر، أتأكد من نظافة ريشي الأسود، أفرد جناحي وأضع القليل من مزيل العرق قبل أن أرتدي عباءتي التي تُخفي جسدي ووجهي. أفتح باب الشقة وأنزل الدرج بنشاط، أُلقي السلام على الواقفين أمام عربة الفول فيعلو صوت أحدهم «تعال كُلْ لقمة معنا يا عم ملاك الموت». أعتذر لضيق الوقت وأقفز في أتوبيس النقل العام. أقف على عتبة الباب، ينهض أحد المُسنين قائلًا: «اقعد، يا ملاك الموت، يا طيب». أعتذر بابتسامة ودودة فيعود إلى مقعده آمنًا. لا أستغل نفوذي، هذا المنجل لا يخون الأمانة، أسمع همسات بعض الشباب في المقعد الأخير وأرى في أعينهم ازدراءً لي؛ أغلب الظن أنهم لا يؤمنون بوجودي. أبتسم لهم بلطف فلا يبادلونني الابتسام، لا أحد يرى وجهي، كثيرًا ما أنسى هذا، أنا وحيد.

حياة مملة. عادةً أنزل أمام مكتب الموت، أرى طابورًا ممتدًا لمواطنين يدفعون فواتير الحياة المتأخرة، أصعد إلى الطابق الثاني أجد العديد من الأوامر المكتوبة، عناوين شقق في أماكن بعيدة عليَّ الذهاب إليها. أنزل إلى الشارع، أمشي في شوارع منكسرة وأزقة ضيقة، أصعد الشقق مثل محصِّل كهرباء أرن الأجراس وأنتظر بأدب، تأتيني الأصوات «من؟». «ملاك الموت يا أفندم». يفتحون الأبواب فأعطي لهم الأوراق المختومة وأرفع المنجل، أضع الأرواح في حقيبة يدي، وأعود إلى الشوارع المبتلة الملطخة بالوحل، فتغوص قدمي فيها، ويتسرب الماء إليّ. أقف على الرصيف نافضًا الحذاء من المياه، فيراني بعض الأطفال ويضحكون من هيئتي. أشعر بالغضب، لِمَ لمْ توافق الحكومة على استخدام أجنحتنا هذه والتحليق فوق البنايات والعشش والقصور، نقبض الأرواح والأمانات ونحلق من جديد بدلًا من هذه البهدلة؟ حياة رائعة عشناها من قبل، أفتقدها، لكنني لا أذكر منها سوى طيفها.

أشعر بالإرهاق، لا أملك من المال ما يكفي لركوب حافلة أو توك توك، حتى ملائكة الموت يخافون ركوب هذه العربة القاتلة، أتوقف عند مقهى وأجلس في الركن أنادي: «شيشة قص يا معلم». أنفث الدخان، أجذب الغربان، تنعق بصوتها القبيح، يطاردها القهوجي ويهشها مرددًا: «اغربي بعيدًا». ويرحل الزبائن متشائمين فيتركون المقاعد فارغة. المقاعد تحنُّ لروادها، أما الأجساد الفارغة فإنها تتنفس أخيرًا. ألمح تلك النظرة في عين القهوجي، أعرفها، نظرة لوم، يريد أن يقول «انظر! هذه الغربان تتبعك»، وأريد أن أقول «أنا عبد المأمور، مشيئة الحكومة يا ناس». لا يبدو على الرجل الفهم، فأضطر إلى الرحيل بخطى ثقيلة. أبدو متعبًا، الشمس حامية، وقطرات عرق تتساقط مني. أنظر إلى الأوراق المتراكمة عليّ، وأتابع دق الأجراس. يسألون: «من الطارق؟»، فأقول: «الموت». «يا ستار يا كريم». «اغرب بعيدًا، دفعنا الفواتير فماذا تريد؟». أقول: «لم تدفعوا شيئًا، الحكومة لا تنسى أبدًا». يقسمون بالله أنهم دفعوها، فأقول: «لا شأن لله في أعمال الحكومة». وأقبض الأرواح. طفل صغير يتوسل إليّ، أغمض عيني. يقولون: «ملاك موت ذو قلب ميت». وأقول: «أكل العيش يا سيد». وأرفع المنجل مرة أخرى. أسمع عديدًا ونواحًا، وبعدها تتلاشى الأصوات تمامًا.

تبقَّى عنوان أخير. أستند على شجرةٍ لاهثًا، ألتقط الأنفاس، لا أستطيع فرد ظهري. أمشي والإعياء يبدو عليَّ. يضع أحد الناس يده على ظهري، يسألني في قلق: «هل أنت بخير؟». أهز رأسي أن

نعم، وأتابع الطريق بمشقَّة. خطوة تلو الأخرى، قدماي وارمتان، إصبعي محشور في هذا الحذاء الضيق. أقول لنفسي «عليك بالصبر يا عبد الصبور، شقة أخيرة وتعود لبيتك». هناك سأغسل قدمي في ماء مالح، وأستريح أمام التلفاز وآكل الفشار. أنزعج من الفكرة، لا، البيت هادئ مفزع؛ لا امرأة تؤنس وحدتي، لِمَ لمْ أتزوج؟ الراتب قليل، ولا أعتقد أن هناك امرأة تتحمل رائحتي.
بعد هذه المشاوير يفوح من جسدي العطن، يمتزج بالعرق، بدخان التبغ وعوادم السيارات. أعتقد أنني أفضِّل الحياة وحيدًا. أتجاهل هذه الوساوس وأرفع رأسي، هذه البناية المقصودة، ينقبض قلبي، بناية كئيبة مظلمة، والأشجار أمامها نشف عودها وأوراقها معذَّبة على هذه الحال، أصعد درجها المتهالك. أرى بيوت العناكب تسكن الزوايا، وقطة سوداء ترمقني بعينيها الذهبيتين، تموء بشراسة وتقفز بغتةً لتهجم على قدمي وتنبش بمخالبها. أصرخ متألمًا، أحاول التخلص منها، أركل بقدمي الهواء، مرة بعد مرة، حتى تطير وتصطدم بالباب المقابل؛ الشقة رقم «١٣». إنها الشقة المقصودة، ينفتح الباب قبل أن أرن الجرس، يخرج رجل بفانلة بيضاء، شعر صدره غزير. ينظر إليَّ نظرة باردة. يشير إلى القطة ويقول: «قتلتها؟». أقول: «لم أُرِد ذلك»، يُطيل النظر إليّ ويسألني: «من أنت؟». أتعجب من السؤال. أقول: «أنا ملاك الموت، ظننت هذا مفهومًا». ينظر إليَّ بتقزز ويسأل: «لِمَ؟ مَا المميز فيك؟»، أقول بارتباك: «هذا الزي، الجمجمة، والمنجل أيضًا!». لا يبدو مهتمًا. يقول بضجر: «وماذا تريد؟». يغيظني بروده. أقول: «روحك، عليك فواتير متأخرة!». فيغلق الباب في وجهي قائلًا: «لن أدفع. قاضني!». أظل واقفًا للحظات مندهشًا وأرن الجرس من جديد. يطل عليّ من شراعة الباب قائلًا: «نعم». أشعر بالإهانة؛ أنا ملاك موت، لماذا لا أبدو مفزعًا في عين الرجل. أقول: «لا تملك رفاهية الرفض، فأنا –كما ترى– ملاك موت». يظل صامتًا للحظات ثم يقول: «تشرفنا! يا سيدنا، يا مولانا! عرفنا إنك ملاك موت، أنا لن أدفع، لا تنسَ أنك قبضت روح قطتي دون مستند رسمي». يصمت ثم يقول: «ما اسمك؟»، أرد بفزع: «محمد عبد الغفور». فيقول بابتسامة لزجة: «بيننا المحاكم يا محمد يا عبد الغفور». ويغلق الشراعة في وجهي. تهتز الدنيا وأنزل الدرج شاردًا.
«يا حسرة على ملائكة الموت»
«يا مصيبتك يا محمد يا عبد الغفور»
«انكسر منجلك قبل الأوان يا سبع».
«يا فضيحتك بين شياطين الإنس والجان».
ضبطت نفسي أمام البار، هنا يسكر الملائكة، لم أرد الدخول، رآني أحد الأصدقاء ونادى: «تعال يا محمد عبد الغفور». حاولت نسيان ما دار، أرسم ابتسامةً على وجهي، هذه سخيفة؛ سأغيرها بابتسامة أفضل. أظن هذه أفضل، أصطدم بجناح النادلة، أعتذر منها، بنظرة إلى عينيها عرفت أنها ملاك الرحمة. تركتها واقتربت من منضدة الأصدقاء، طلبت بيرة. وضعتها الملاك أمامي وغمزت. سألني أحدهم: «لماذا لم تتزوج بعد؟» وأشار إلى النادلة: «تبدو معجبة بك». هربت من الموضوع قائلًا: «لستُ جاهزًا بعد». ودارت بينهم المواضيع إلى قرار الحكومة باستخدام الملائكة ونفوذهم في أعمال مقنَّنة وفقًا للدستور، قال أحدهم: «كالاحتراف في كرة القدم». ووافقوه قائلين: «صحيح». وقالوا: «العمل الحكومي أفضل من القطاع الخاص». وقالوا: «القطاع الخاص يمص دم الناس ولا ينتظر منك غير الطاعة وإلا سينفيك إلى أسفل السافلين». وقالوا: «ما رأيك يا محمد يا عبد الغفور؟». نظرت إليهم بشرود وقلت: «قتلت قطة لم يكتب لها الموت».

ورأيت الفزع على وجوههم. ماذا لو عرفوا بأمر الرجل الذي رفض الموت؟ ستكون فضيحتي بجلاجل. يا حسرة عليك يا عبد الغفور، اعتذرت منهم وغادرت. تركت بقشيشًا للملاك الجميلة لكنها قالت: «أريدك أنتَ». أردت أن أقبل دعوتها، بإمكانها أن تستوعب الموت، فيصير قطة سوداء بين يديها. أبتسم لها وهي تلمس ريشي الأسود وأموء بحزن دفين، وبدلًا من الانقياد لها. قلت: «لا، لا أستطيع. أنا ملاك الموت. أنا مِلك الحكومة. أنا عبد المأمور». وتركتها تبكي وراء ظهري. من يقبض أرواح الناس يستطيع أن يجعل امرأة تبكي. أنا ملاك موت ذو قلب ميت، أصل إلى بيتي. أعلق عباءتي السوداء وجُمجمتي على الشماعة. أشعر بالوحدة. أقف أمام المرآة أتأمل شعري الشايب، ظهري المحنيّ وجسدي الهزيل. أسمع طرقًا على الباب. أشعر بسعادة. لم أتخيل أن تلك الملاك الجميلة تشتهيني لهذه الدرجة، فتحت الباب فوجدت أمامي رجلًا يرتدي عباءة سوداء ويمسك بمنجل. بدت عليَّ الدهشة. سألت: «من أنت؟»، فلم يرد. كنت أعرف من يكون. زميل مهنة جديد. شاب قوي مفتول العضلات، بظهر مفرود. تقدم مني بخطوات ثابتة. تراجعت للوراء. لا بُد أن الحكومة عرفت بأمر القطة والرجل الذي رفض الموت. قلت بابتسامة واثقة: «أستطيع حل هذه المشكلة غدًا». فلم يرد ، اقترب أكثر فشممتُ رائحة أنفاسه العطنة، وشعرت بالبرد يخترق عظامي. قلت: «لم أصل إلى سن التقاعد بعد». فلم يرد. اقترب أكثر ومد يده في جسدي، أمسك روحي. كان ذا هيئة مُفزعة؛ عيناه مدفونتان داخل الجمجمة. لا أستطيع الوصول إليها، ولا روح تسكنها. لم أتخيل أن القناع مصنوع بهذه الجودة. أردت الضحك. قلت: «يكفي. أنتَ موظف جديد، تريد اللعبَ. عيب». فلم يرد. أمسك الروح. شدَّها واقتلعها مثل زرع فاسد، فشهقت من الوجع، بينما وضعها في حقيبة يد. قلت: «أت..أنـ..مــ() ظــ ف.. مـ..؟د! (و) ج ي د». سقطتُ على الأرض ميتًا، وجسدي مكفن بالفواتير.

حجر معسل

أنا إبليس.. أبيع النار للزبائن. أحمل مبخرةً مليئة بالفحم المشتعل، وأرتدي مسابح ذات خرز أخضر. تصطدم ببعضها البعض حين أمشي فينادي عليَّ الناس «ولعة هنا يا إبليس!». وأقول: «ملعون إبليس يا ناس». وألعن هذه الحياة القاسية، وأذهب لتغيير أحجار المعسل. أشعر بالبرد يأكل جسدي، رغم النار المتوهجة التي أمسك.

الشتاء يقرص جلدي بأسنان صغيرة. حياة عادية ومملة، لكنها أفضل من حياة الواقف أمام المياه المغلية، يراقبها ويُعد الشاي والقهوة. على الأقل أرى وجوه الناس والشارع. أتحدث معهم رغم مزاحهم الثقيل؛ اسمك هو إبليس! (ها ها) تدهور بك الحال بعد الهبوط (ها ها) أين قرناك؟ وشوكتك؟ وذيلك؟ (ها ها). مزاحهم لزج، يجعل الليالي الباردة تمضي على أي حال، حتى يشاء الحظ أن أتى إلى مقهانا زبون جديد، زبون نظيف. ابن ناس.. مُهندَم. يجلس أسفل عمود الإنارة. يأتي دومًا مع أذان المغرب والعشاء والفجر. يدخِّن عشرة أحجار ويفعل هذا بخشوع. ينسى وجود الناس كأنهم ظل واحد. أبديًّا يبدو (أسفل عمود الإنارة) للعابرين. يراقبني. أشعر بهذا، يراقبني دون أن أراه، ولن أراه لو أردت، فالظلام كثيف. ينادي عليَّ في ليلة غبراء: «إبليس.. تعال.. أريدك». فأقترب وأنا أسأل: «ماذا..؟ ماذا تريد؟»، نبدو عليَّ عداوة وغِلظة، لا أعرف سرها، وأعرف أن الرجل مدمن للمعسل. دخن كل شيءٍ في صباه؛ التبغ، والحشيش، والأفيون، ولمّا هداه الله أقلع عن هذه الأشياء، ولم يبغض أبدًا هذا الحجر الأسود.. هذا الحجر المبارك.

الرجل الطيّب قال: «أريدك يا إبليس في فعل الخير». وبدت العبارة هزلية، رغم نية صاحبها الطيب، ولم يبدُ أن الرجل يقصد الاستهزاء، كان جدِّيًّا، إذ تابع: «لا أحد غيري يرى الخير فيكَ، لذا اصطفيتك!». وكنت متوجسًا، لا أعرف ماذا يريد بهذا الحوار. تابع: «أنا طبيب وأريدك أن تقوم بعملية جراحية»، وهنا عرفت أن في الأمر مصيبة.

لم أفهم شيئًا.. تخيلت نفسي بأصابعي القذرة المتسخة بالطين وبقايا المعسل، أمسك بمشرط ومقص، ولا أعرف ما أفعل بهما، لكني مبتهج، فالتجربة ممتعة، أن تقوم بدور غيرك، أن تكون على غير حقيقتك، أن يلعنك الناس نفاقًا لله، وأنت في الأصل يده التي يضرب بها، والمرآة التي يمسك بها لتظهر نصفنا المَخفي. أنا يد الله الصادقة والآثمة معًا، وأرى في رؤياي حقيقتي. أخرج الأمعاء الغليظة وألقي بها لكلاب الشوارع والسكك المظلمة، لكن الطبيب طمأنني وقال: «لا! هي عملية بعيدة عن الأمعاء!». وعندما سألت عن طبيعتها قال: «عملية ممنوعة.. لا تقوم بها غير الحكومة». في البداية ظننت أنها عملية إخصاء، لكن الطبيب عاد وقال: «لا! هي عملية روح، ستقتلع روحي القديمة، وتضع بدلًا منها روحًا أخرى. بسيطة!». فزعت لمَّا سمعت ذلك، التفتُّ حولي خشية أن يكون أحد رجال الحكومة هنا، من أمناء شرطة أو مرشدين، أو أحد المواطنين الشرفاء، فالأمور صعبة والأوضاع سيئة في كل مكان. ولم يكن في المقهى أحدٌ، لذا صِحتُ بصوت عال: «أنت مجنون يا سيد! لا! لن أُجريَ لكَ أبدًا عملية روح». وقال الطبيب غاضبًا: «وماذا تعرف عن الروح؟ إنها.. إنها دودة حقيرة!». ولم أكن غبيًّا، أعرف جيدًا ما الروح، إنها سمكة حمراء صغيرة، ولمَّا أخبرت الطبيب بذلك بدا مندهشًا وقال: «من أين تعرف ذلك؟». شعرت بالزهو، وكدت أن أدعي المعرفة، لكنني لُذت بالصدق وقلت: «أخبرني بذلك كاتب

مغمور، ذو شعر أسود منكوش، يزور مقهانا بين الحين والآخر ويظن في نفسه النبوة والحِكمة وأشياء من هذا». وهنا لم يجد الطبيب مفرًّا من الاعتراف، قال: «نعم! الروح سمكة صغيرة، لكنها تؤلمني!». ولم أعرف ماذا يقصد بهذه العبارة. قلت في سري: «على الأقل سيدفع جيدًا مقابل هذه العملية». لكن الطبيب عرف ما في صدري وقال: «لا! لن أدفع شيئًا، لا أملك المال، أنا شحاذ». وعرفت أن الرجل يريد القيام بهذه العملية بغرض توفير حجارة المعسل. عشرة أحجار في قعدة واحدة. ١٠*٣= ٣٠*٣٠. أعد على يدي؛ فأفشل.. لا أجيد الحساب. «هنا ليستة!»، أنسى المعادلة وهذه العملية.

نظر الطبيب إليَّ متوسلًا وقال: «لماذا يا إبليس؟». لم أُرِد أن أبدو طماعًا. قلت: «العملية ممنوعة، كما تعلم، والحكومة لها أنف كلب، إذا شمَّت خبرًا ستُلقي بنا في جهنم!». فضحك الطبيب وقال: «لكنك إبليس، ستدخلها في كل الأحوال». ولمّا وجدني عابسًا قال: «إنها مزحة سيئة، أعرف أنها جهنم الحكومة والعذاب فيها أكبر».

توقعت أن ينتهي النقاش هنا، لكن الطبيب ظل يتوسل إليَّ، وقال: «لا أملك مالًا لغوايتك يا إبليس، ولا أعتقد أن المال يغويك، ولا الجاه، ولا العرش، أعتقد أنك إنسان منطقي، تملك قلبًا كبيرًا، قم بهذه العملية بدافع إنساني، أتوسل إليك أيها الشيطان الطيب، انظر إليَّ، انظر في عيني، وقل إنك لا تشفق عليَّ، أريد نارك، لا أستطيع العيش دونها، ولا أملك المال، كيف أشتري بضاعتك يا إبليس إذا كنت فقيرًا هكذا، لا أريد عدلك، بل فضلك». هرشت في رأسي، ولم أعرف ماذا أقول. اهتز قلبي، لا أستطيع أن أنكر ذلك، وعاد الطبيب يقول: «أعرف أنك روح طيبة، لا تستطيع إخفاءَها مهما حاولت، قد تكفِّر عن كل خطاياك بهذه العملية البسيطة، السهلة هيَّا.. هيَّا يا إبليس»، وضحك وقال: «هيَّا، قد تدخل الفردوس. ها؟ ما قولك؟»، ولا أنكر أن الشيطان قد لعب في عبّي، ولمعت عيناي بالفكرة. برمية نرد فقط، أكفِّر عن كل خطاياي وأجد الخلاص الأبدي، أصير مثل ثوب أبيض في غسالة، وأعود شيطانًا جديدًا، وأفعل ما شئت من الذنوب وأبيع للناس النار والحشيش والدخان.

وافقت. أقنع الطبيب صاحب المقهى. قال: «ثوابها كبير». وجاء إلينا في مساء اليوم التالي حاملًا حقيبة العدة؛ من مشارط، ومقصات، وأشياء أخرى لا أعرفها. سألت الطبيب: «بنج نصفي أم كلي؟»، فقال: «لا، لا أريد مخدرًا، فقط حجر معسل جيد». وبالفعل أعددت الشيشة، واستلقى الطبيب على منضدتين، وبدأ يكركر وأنا أغز المشرط في صدره. لم يتألم. لم يُلقِ نظرة ليطمئن على سير العملية. كان واثقًا في يدي الأمينة، ولمّا انتهيت أمسكت بروح الرجل بين يدي. سمكة صغيرة هزيلة حمراء، أُمسكها من ذيلها بتقزُّز شديد وأُلقيها في دلو قذر. لم يحس الرجل بغياب الروح أو الهواء، وظل ينفث الدخان، سُحبًا كثيفة بيضاء ورمادية، تجعل الرؤية مشبَّرة، لكنني أعرف ما أريد، وأرى ما أفعل. وضعت حجر المعسل في موضع الروح، وبدأت أخيط الجرح جيدًا. «انتهيت». نظرَ الطبيب إليَّ وقال: «جيد». وترك «لَيَّ» الشيشة وبدأ ينفث الدخان، بطريقة شيطانية، أمامنا. «سبحان الله»، «إبليس العظيم». مع كل نفس، شهيق ثم زفير ثم دخان؛ دخان حلو، وحجر

يعدل الرأس ويزن المزاج لساعات. شعرنا بالسعادة، وبدأنا نرقص معًا. الجميع يمسكون بالشيش في أيديهم وينفثون الدخان. لم أشعر برحيل الرجل، كنتُ منتشيًا بيدي التي تفعل المعجزات. وبعد قليل انطفأت نشوتنا واستعدنا وقارنا، ونظرنا إلى المقهى الفارغ وأدركنا الخطيئة التي ارتكبناها.

وقال صاحب المقهى بحزن: «فقدنا أحد أهم زبائننا!». كان يراه العابرون أبديًّا، عمودًا من أعمدة المقهى، لا يهش الهاموش أو الناموس، ولا يتحرك أو يكلم أحدًا. لن يعود إلينا، قالوا ذلك، ولطموا، بينما ظللت هادئًا. وظنوا أنني منتشٍ بفعل الخير، بالثواب والعقاب، بالفردوس، ولم أكن كذلك. كنت إبليسًا حقيقيًّا. أملكُ الوقت رغم الانتظار.. وبعد ساعة واحدة عاد إلينا الطبيب، وبدا مهمومًا باهتًا. يتنفس الهواء مثل البشر، دون اختلاف، ويملك روحًا مُطفَأة. قال: «كنتُ أنفث الدخان، مثل شيطان، وبعد قليل لم أعد قادرًا على ذلك. فما الذي حدث؟». ولمح على وجهي ابتسامة شريرة منتصرة، وسأل ببراءة: «لماذا تبتسم يا إبليس؟». وعاد يسأل: «ماذا فعلت؟». ولم أفعل شيئًا سوى ما طلب. وضعت حجر المعسل موضع الروح. لم يبدُ سعيدًا بالنتيجة، واتسعت الابتسامة أكثر حتى أكلت وجهي، وشعرت بالفعل أنني أمتلك قرنين، وشوكة ثلاثية، وذيل، وصِحت بصوت عال: «كنت تريد التوفير، والآن احترق الحجر، وعليك أن تأتي إلينا كلما أردت تغييره!». الروح بكل صورها ضرورية للإنسان. لا أعرف لماذا.. تبدو مثل بطاريات الساعة. إنها لغز، غيب، سماء. لا أفهمها لكنني أفهم الواقع.. الآن لا يستطيع أن يغادرنا الطبيب أبدًا.
صار جزءًا من وجودي وصرتُ جزءًا من وجوده. أنا وهو واحد. لا أحتاج إلى ليستة لفهم هذه المعادلة.
يمكننا الآن تعديل الأسعار!

يوم العرض

دلفتُ إلى مسرح العرائس. كنتُ إنسيًّا من طين، والمكان عادي، باستثناء الورقة المعلقة على الباب (مطلوب إنسان للتمثيل في مسرح العرائس). لم أفهم الغرض من تحديدهم للجنس البشري. العرائس تمشي على قدمين في الشوارع، ولم نهتم كثيرًا بخيوط الماريونت التي تمتد إلى السماء البعيدة. للعرائس جميع حقوق البشر، بل تزيد. يستطيعون العمل في شتى الوظائف، بكفاءة عالية، ودون ملاحظة أي تقصير، الأمر الذي دفع أصحاب الشركات والمصانع والمتاجر لتوظيفهم، والاستغناء تمامًا عن البشر. العرائس تقوم بالدور المفروض عليهم، دون أن يطرحوا أسئلة، والأهم أنهم مخلوقون للعمل، لا حياة تنتظرهم بالخارج، لا يستطيعون التناسل، ويتم صنعهم في مكان مجهول مفزع. أساطير عدة تدور عنهم؛ أعينهم الفارغة من الحياة تجعلنا نشعر بالخواء، وأجسادهم القطنية ملمسها غريب. قمت من قبل بملامسة دُمية قطنية تعمل في بقالة، أسفل المنزل، رمقتني بنظرة باردة ولمّا فرغت منها سألتني بصوت هامس «هل تشتهيني؟»، شعرت بالفزع من سؤالها وهربتُ بعيدًا عنها. ظل سؤالها يطرق رأسي كثيرًا. لا أقول لنفسي أنني أفعل، أخشى من ردة فعل الحكومة إذا عرفت، ودومًا تعرف. تعرف ما في الصدور، ولا شيء يخفى عن آذانها المبعثرة في الشوارع.

أتجاهل هذه الأشياء، وأنظر إلى الموظف المسؤول، كان إنسيًّا مما جعلني أشعر بالألفة. سألني عما أريد فأشرت للإعلان المعلَّق على الجدار بالخارج، تنهَّد وقال «أخيرًا! البشر كسالى، تخيل يا سيد أن هذا الإعلان معلَّق هنا منذ أشهر، ولم يتقدم أحدٌ إلى هذه الوظيفة». أتخيل السر وراء ذلك. من يحبّ العمل مع هذه الكائنات القذرة المحشوة بالقطن. أظل صامتًا. لا أريد إخباره بما يدور في رأسي، يحملق طويلًا في وجهي، ينتظر ردًّا. أقول: «أعتقد أن الإعلان غامض، دون تفاصيل كافية، ما الوظيفة؟ ما الراتب؟ أعتقد أن هذه الأشياء مهمة، كما تعلم». سعل الرجل في وجهي وقال «لا! لا أعلم، وأعتقد أن هذه هي مشكلة البشر، إنهم يهتمون بالتفاصيل، دومًا يفعلون ذلك. عندما تزوجت لم أهتم بأي تفاصيل على الإطلاق، هل تعرف؟ بعد عشرين عامًا من زواج سعيد سألتني امرأتي البلهاء؛ لماذا اخترتها تحديدًا دون النساء، وهي، كما أرى، صلعاء. لم أعرف بماذا أجيبها. ظللت صامتًا لكنها ظلت تُلِح عليّ، لماذا؟ ها؟ لماذا؟ قلت لها الحقيقة، أنا لم أعرف أنها صلعاء إلا الآن. لم أنظر في وجهها مرة، فماذا فعلت؟ تخيل! طلبت الطلاق، قالت إنني لا أهتم بها بما يكفي، تخيل؟ التفاصيل.. اللعنة على التفاصيل، والآن تسأل عن الراتب، رغم أنك عاطل، لا تجد قوت يومك، أنني أشفق عليك!». خشيت أن أفقد الوظيفة بعد هذه الخطبة الطويلة، خاصة أنني عاطل بالفعل، لذلك قلت «أتفق معك، أنا مستعد للعمل، دون أسئلة». قام الموظف من مقعده سعيدًا، وبدأ يتحسس جسدي، وعضوي، وقال معتذرًا: «آسف، أردت التأكد من أنك إنسان، من النادر مقابلة طينتك كما تعلم، أنا فخور بك يا سيد، ما اسمك؟ لا تخبرني، ما فائدة الأسماء؟ سيكون اسمك هو السيد إنسان، نعم، هذا هو اسمك، واسم المسرحية أيضًا، فأنت بطل العرض».

في دقائق وجدتني واقفًا مع فريق التمثيل، محاصرًا بين الدمى. أتأملهم. أجسادهم ممتلئة وأقدامهم صغيرة مضحكة، مشيتهم غريبة حقًّا، غير متناسقة، كأن هناك حبال رفيعة تحركهم من الأعلى. لا بُد أنها موجودة في السماء، إذا كانت السماء موجودة في مكان ما.

أتأمل الحشد: دمية لها أنف مدبَّب، دمية لها سن وحيدة في المنتصف، ودمية لها مؤخرة قد تبتلع العالم. أثناء تأملهم سمعت صوتًا من خلفي، «أنت مسخ، يمكننا أن نراك كما ترانا، وإذا وقفت أمام أي مرآة سترى رأسك أكبر من جسدك». التفتُّ إلى مصدر الصوت ووقفت مندهشًا. قلت «أنتِ». كانت هي الدمية التي قابلتها في البقالة، تركتني مثل مسمار مدقوق في نعشي، أسأل نفسي «هل تراقبني؟ تتبعني أم أتبعها؟». لم أعرف. راقبتها. بدا وكأنها في هذا المكان منذ زمن. تعرف الجميع ويعرفونها. تمزح معهم. أسمع ضحكاتهم المقززة، يبدون مثل خنازير من قطن. لا أستطيع أن أفعل مثلهم. أعاني من رأس كبير حقًّا ولسان ثقيل. دومًا تستوقفني الأشياء. أحاول فهمها، فكها، إعادة تركيبها، وغالبًا أعجز فأتركها مبعثرة. لماذا أمد يدي في نعش العالم؟ منذ مولدي وهو على هذه الحال. أمشي. أقترب من الدُّمَى. لا أعرف ماذا أقول. «هاي. أنا السيد إنسان، لا أطيق رائحتكم لكنني مجبر على نفاقكم، فأنا جائع». لا أبدو ممثلًا جيدًا. يلاحظون ذلك جيدًا. يتأففون. يقولون «إنسان! هذا سيء!». أعتقد أنهم يسخرون من موهبتي في التمثيل، لا بُد أن أتعلم النفاق، لا بُد أن أدافع عن نفسي، عن نوعي البشري، نحن من أسس فن التمثيل أيتها الدُّمى الغبية.

لا نخرج من هذا المكان. الأيام، الأسابيع، الشهور، تبدو كذبة. نأكل البيض والزمن. لا أحبّ الأصوات الذي تخرج من أفواههم وهم يمضغون الطعام. يجلسون معًا في مائدة واحدة أو فوقها، وأجلس في الركن. أمسك الشوكة والسكين. أقطع البيضة الصغيرة إلى أجزاء. أمسكها وأغصب نفسي عليها، دون أن أبدي تقززًا. أحاول إتقان دوري. أنا الواحد، الأحد، الباقي، لا سواي. تأتي إليَّ دُمية البقالة وفي يدها طبقها. تسألني «هل أستطيع أن أجلس معك؟». أريد أن أرفض لكنني لا أستطيع. لا أشعر أنها دمية. تبدو حيّة. ملامحها جميلة وتذكرني بشيء لا أذكره. تجلس دون انتظار ردي. تقول «لم قبلت بهذه الوظيفة؟ تبدو ممثلًا سيئًا رديئًا، على عكس معظم البشر». لا أفهم إذا كانت تقصد مدح جنسنا البشري أم تقصد ذمّي، أتجاهل نواياها وأظن بها خيرًا، لكنني لا أرد عليها. أنظر إلى الدُّمى والأصوات المقززة التي تصدرها، تعلو وتكاد تصم أذني. تقفز دمية سمينة فوق مائدة الطعام وتبدأ في الرقص. تدهس أطباق البيض بقدميها ولا تبالي، بينما تصفق لها الدمى. أقول لها «انظري، انظري إلى الدمى، ماذا تفعل». تقول ببساطة: «إنها ترقص!».

تدق الساعة. لا أعتقد أنها تفعل ذلك أبدًا. أمسك رأسي. صداع. بندول يضرب في رأسي. يتحرك يمينًا ويسارًا دون غاية. لماذا يعذبني الزمن؟ تمسك دمية البقالة يدي وتقول «تعال. علينا أن ننام». أصرخ، آه، الزمن يغلي مخي. تسألني «ما بك؟». لا أهتم بسؤالها، وأظل على هذه الحال حتى يسرقني النوم. وفي منتصف الليل أستيقظ وحدي، وتقع عيني على الدمى وقد تكومت فوق بعضها. دُميتي المشتهاة تحتضن جسدي. تفتح عينيها وتقول «كنت ترتجف طوال الليل، تهذي، تقول إنك الزمن وأنت الساعة، والقيامة أنت. اعتقدت أنك ستموت. البشر يفعلون ذلك طوال الوقت، وغالبًا في أوقات غريبة». تبدو شهيّة والقلق بادٍ في عينيها، إنها حيّة تمامًا. إنها بشرية. لا أقاوم تلك الرغبة التي تأكلني. أتحسسها مرة أخرى، فلا أجد غير القطن. تلمح الخيبة في عيني، فتقول «غريب! لا أفهمك لماذا تكون عنصريًّا هكذا، تعتقد أنك أفضل منَّا، لمجرد أنك محشو بالطين، بالدود، بالدم».

تتركني هذه المرة وتمضي بعيدًا، لا تعود مرة أخرى ولا تلقي عليّ نظرة. أنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، أنتظر شيئًا. إلى الآن، لم أعرف وظيفتي بعد، ومتى سيحين ميعاد العرض. ما دوري؟ ماذا سأمثل؟ أين البروفات؟ لماذا أظل في هذا المكان المفزع؟ أفكر في الهرب. سأفعل

ذلك حتمًا. غدًا، أي الآن، بالأمس القريب جدًّا. أنتظر الليل، فأجده، أقول «أنا الزمن، أنا الساعة، أنا القيامة». تتكوم الدمى فوق بعضها. يعلو شخيرها المزعج. ألقي نظرة على فتاتي، تبدو جميلة، الضوء ينير نصف وجهها ونصف روحها، أشعر أنني أخونها. أنا سيء. أغلق الباب وأتسلل إلى الخارج. ضوء قوي يضرب عيني ويمنع عني الرؤية، ومن مكان ما أسمع تصفيق الجمهور. «هللويا». «هيّا هيّا». تعتاد عيني على الظلام والضوء. أرى جمهورًا كبيرًا من الدمى. يجلسون على مقاعدهم ويصفقون بقوة. أنحني بغير إرادة مني، وأرفع يدي، في إشارة لا أفهمها. أتحرك متعثرًا إلى أقصى المسرح، أبدو مضحكًا في مشيتي، لم أمشِ، لم أرفع يدي، لم أفعل شيئًا من ذلك. يتحرك فمي. أقول كلمات بلغة لا أفهمها فتعلو ضحكات الجميع. أحاول أن أرفع رأسي. أرى حبالًا رفيعة تشدني وتسيطر عليّ، وأسمع صوت فتاة البقالة، تقول «أيتها الدمية الغريبة، ما بكِ؟». تقولها بشجن عجيب، يهزني صدقها وأرغب في البكاء. أسقط على ركبتي. أنظر إلى عينيها الجميلتين. لست دمية. أريد أن أخبرها. أبدو عملاقًا بالمقارنة بها. لا أستطيع الكلام. يتحرك فمي ويقول أشياء أخرى، لا أفهمها، لكنها تمسك بإبرة. يلمع نصلها الصغير في الضوء. تقول «لا تحزن، كل شيء سيكون على ما يرام». تلدغني بها عدة مرات. أنتظر رؤية نقاط صغيرة من الدم تسقط على خشبة المسرح. لا شيء. لا أرى شيئًا. تبدأ الدمى في الرقص حولي، وألحظ وجود بيضة كبيرة في الخلفية. أسمع صوت الساعة. دوم.. تِك تِك.. دوم. يبدو مثل بوق القيامة. أرفض ما أراه. أحاول هذه المرة أن أصرخ بكل قواي. أقول لنفسي «انفجر إلى أمعاء، لا تستسلم». أقع. أركع أسفل قدميها الجميلتين. تلمسني بأناملها. يقشعر جسدي. أستسلم تمامًا لها. أتركها تفعل ما شاءت. أرقص معها. أصير قطنًا وتصير طينًا. هذه المرة لم تحركني أي حبال. انقطعت. أوقعتها يد الله أو يد الشيطان، أو يد أخرى قوية وباطشة، أنا لست أدري، أنا لست شيئًا. أدق مرة أخيرة بدويٍّ مفزع معلنًا قيام الساعة، ولا أحد يسمع، صوت التصفيق يعلو في تلك اللحظة ويطغى على كل شيء، وينسدل الستار.

مصطفى الشيمي

قاص وروائي مصري، فاز بالعديد من الجوائز الأدبية الرفيعة في مصر والوطن العربي، منها:
- جائزة الهيئة العربية للمسرح - قائمة قصيرة ٢٠١٨.
- جائزة ساويرس الثقافية - قائمة قصيرة ٢٠١٧ عن «سورة الأفعى».
- جائزة أخبار الأدب ٢٠١٦، عن رواية «باب الغريب».
- جائزة المسابقة المركزية لقصور الثقافة، دورة فؤاد قنديل ٢٠١٦، عن المجموعة القصصية «مصيدة الفراشات».
- جائزة دبي الثقافية ٢٠١٥، عن مجموعة قصصية «بنت حلوة وعود».
- جائزة المجلس الأعلى للثقافة، دورة بهاء طاهر ٢٠١٥، عن المجموعة القصصية «ليلى والفراشات».
- جائزة المسابقة المركزية لقصور الثقافة، دورة خيري شلبي٢٠١٢، عن المجموعة القصصية «عاهرة القمر».

صدر له

هكذا تكلم الذئب، قصص، منشورات الربيع، ٢٠١٩.

سورة الأفعى، رواية، منشورات الربيع ٢٠١٧.

بنت حلوة وعود، قصص،منشورات الربيع، ٢٠١٦.

مصيدة الفراشات، قصص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٦.

حي، رواية، دار العين للنشر، القاهرة ٢٠١٤ .

الآن.. يمكنكم متابعة أحدث إصدارات منشورات الربيع واقتنائها من جميع أنحاء العالم من خلال موقعنا الإلكتروني:
WWW.ALRABIEPUBLICATIONS.COM
كما يمكنكم متابعتنا عبر وسائل التواصل الاجتماعي:
Facebook / twitter / instagram